الطـــــوفان

في المصادر ـــ السومرية ـ البابلية ـــ الآشورية ـــ العبرانية

الأستاذ فؤاد جميل



الطوفان في المصادر السومرية ـ البابلية ـ الآشورية ـ العبرانية

المركز الأكاديمي للأبحاث

الطوفان في المصادر السومرية ـ البابلية ـ الآشورية ـ العبرانية

The Deluge in Sumerian, Babylonian, Assyrian, and Hebrew Sources

تأليف: الأستاذ فؤاد جميل Fu'ad Jamil.

تصميم الكتاب وغلافه:المركز الأكاديمي للأبحاث ــ التقويم اللغوي:د. حسين الوطيفي ــ تنضيد : علي الحسناوي.

الناشر:المركز الأكاديمي للأبحاث

العراق ـ تورنتو ـ كندا

The Academic Center for Research

TORONTO -CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية/Library and Archives Canada

ISBN 978-0-9921030-0-2

بيروت ـ الطبعة الأولى ٢٠١٤

website\\www.academyc2010.com

Email - nasseralkab77@yahoo.com

توزيع : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : بيروت ـ لبنان

الجناح ـ شارع زاهية سلمان ـ مبنى مجموعة تحسين الخياط

٢٠٤٧-١١-٧٦ بيروت ـ لبنان

Fax: +961-1-830609 Tel:+961-1-830608

Email:tradebooks@all-prints.com

Website:www.all-prints.com

مقدمة المركز الأكاديمي للأبحاث

مثل الماء عنصرا رئيسا وجوهرياً في ثقافة الشرق وتفكيره حتى أخذت مجمل الحضارات الشرقية الرئيسة منه تسمياتها من أنهارها العظمى التي تخللتها كما في حضارة وادي الرافدين ووادي النيل ووادي السند ووادي النهر الأصفر.

وهذه الملازمة هي ليست نتاج الحاجات المادية النمطية للماء بوصفه هبة الحياة ،وإنما لحال الترابط التي ارتكزت في الذهنية الشرقية بين الماء والخلق وبين الماء والملوكية وبين الماء والفكر والمثيولوجيا كما عبرت عن ذلك نظريات مثل نظرية نمط الإنتاج الأسيوي الشرقي؛ولهذا الدور الرئيس المعطى للماء خارج نطاق وظائفه الحسية للمجتمع والاقتصاد والزراعة،فانه أخذت دوراً رئيساً في دورة حياة الحضارات والأديان في إعادة خلقها وتجديد حياتها عبر فكرة أطوار الفناء أو الخلق المتعاقبة ،وتخليص المجتمعات ليست الإنسانية ،فحسب وإنما الحيوانية كذلك من الأدران العلاقة بها ،وانتخاب الصفوة لإكمال الحياة وإنشاء ركائز التأسيس الجديدة

.

والطوفان هو الذي يسهم في خلق هذه الدورة على اختلاف مبراته وتعيليلاته ،فتمثل فكرته أكثر المشتركات الجامعة بين الحضارات

والديانات الشرقية،فيلحظ أن رواية الطوفان تتغير ملامحها العامة والتفصيلية تبعا لتغيير مرجعيات مصادرها المتنوعة وعموما فانه بالأماكن تقسيم تلك الرواية على قسمين رئيسين ، القسم الاول المتعلق بما انتجته الحضارات الشرقية القديمة كما في المصادر السومرية والبابلية التي اشتركت فيها كثير من العوامل بخلاف الرواية الدينية في الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقران ،التي يبدو ان فيها جامعا مشتركا على الرغم من تفاصيلها المتنوعة ،فكتاب الطوفان في المصادر السومرية – البابلية –الأشورية – العبرانية هو محاولة لعقد مقارنة شاملة بين معطيات تلك الروايات المتباينة والمختلفة مرجعياً رؤيوياً

الدكتور نصير الكعبي

مدير المركز الأكاديمي للأبحاث

تورنتو- كندا

٢٠١٣

تمهيد:

لا جرم أن ثمة كارثة ساحقة ماحقة، من كوارث الفيضان التي كانت بلاد ما بين النهرين تتعرض له، عبر التأريخ من دون أن يستطيع سكانه يومذاك السيطرة عليها، وهي الأصل في [قصة الطوفان] على ما وردت على لسان (اوتا – نبشتم)، وهو يقص حديثه على (كلكامش) بطل (الملحمة السومرية العظيمة الخالدة) التي يصح وضعها في مصاف الملاحم العالمية العظيمة الخوالد.

لقد تنوقلت (قصة الطوفان) هذه عن الأصل السومري، وتلقّحت بأساطير الأمم التي جاءت بعد السومريين، متنقلة في أرحام الدهر. لقد اقتبسها البابليون – الساميون فكانت لديهم نسخة كاملة منها في نحو سنة ٢٠٠٠ ق.م، شأنهم شأن الحيثيين في بلاد الأناضول، بعدهم بسنين قليلة، وعاود صياغتها الكتّاب الآشوريين، ثم كان لها صدى مدوّ في (سفر التكوين: ٦-٩) وقصة الطوفان. على ما وردت في هذا (السفر) . تتفق مع (قصة الطوفان البابلية)، وعدد من قصص مشابهة، كانت شائعة ذائعة في بلاد ما بين النهرين في الألف الثاني قبل الميلاد وذلك في الجوهر، وإن اختلفت في بعض التفصيلات، وثمة ملاحظة نوردها لأنها تتسق في هذا الباب، هي: أن (روح نهر الفرات)

كانت ترد في أساطير البابليين، ولعلها في أساطير السومريين أيضاً، باسم (روح الأرض) أو (روح المكان) ويتخيل شكلها على هيأة سمكة، وأن نماءها في هذا النهر يعلل ما يحدثه من طوفان، ذلك أن النهر يضيق بالسمكة على سعته. كما تقع في كثير من الأساطير الأخرى على تعليلات غير هذه في باب حدوث الفيضانات العظيمة، منها أنه لا شك في أن يكون ثمة وحش، عظيم الجرم، قد لجأ إلى البحر أو البحيرة أو النهر فضاقت جوانبه بمائه فتبطح وأحدث الطوفان[1].

وشغلت أذهان المنقبين - الآثاريين بقصة الطوفان، على ما وردت في (سفر التكوين)، وكان أن وجد (السير لينارد وولي). الذي نقب في أور. طبقة من صلصال، خلّفها ماء منحسر، وأرجعها إلى ما قبل ٤٠٠٠ سنة، وقال عنها في كتابه الموسوم (أور الكلدان ١٩٢٩) إن هذه الطبقة هي إثارة (الطوفان)، وما كان هذا عالمياً، وإنما هو كارثة محلية حصرت بوادي دجلة والفرات الأسفل، ولعله شمل منطقة طولها ٤٠٠ ميل وعرضها ١٠٠ ميل، وحسبها سكان هذه البلاد. بسبب من نظرتهم التي لم تكن تجاوز بلادهم. (طوفاناً عالمياً) شمل الدنيا كلها.

ولما كان لاكتشاف هذه الطبقة خطر ومساس بموضوع (الطوفان) مباشرة، فنحن نورد حديثها تفصيلاً، على ما يقصه سر لينارد وولي نفسه[2]، قائلا:

---

[1] Myths of Babylonia – Mackenzy.

[2] Excanations at Ur, p. 29 and after.

(كان التنقيب في "المقبرة الملوكية" في أور يوشك أن ينتهي، ومما كان لدي من دليل عتيد، كنت على يقين من أن هذه (المقبرة) ترجع إلى زمن سابق لعهد سلالة أور الأولى. ذلك أن الكنوز المستخرجة من قبورها تصور حضارة من طبقة رائعة. لذا كان من الأهمية بمكان اقتفاء الخطوات التي خطاها الإنسان ليبلغ ذلك المستوى من مهارة الصنعة ورفعة الثقافة. إن هذا يفرض علينا التعمق في النبش والتنقيب، وكان من الأفضل أن نبدأ ذلك، على مقياس صغير، في المستويات الدنيا، وأن يتم بأقصر وقت وأقل كلفة.

لذلك بدأنا من تحت مستوى القبور التي عثر عليها، وأخذنا بدق أسفين صغير اخترق التربة التحتانية، خلل الفضلات المزيجة التي تميز المستوطنات السكنية العتيقة، إنها خليط من لبن لتفتت، ورماد، وكسارة فخار، وهي على غرار أرض القبور التي جرى حفرها. واستدام النبش حتى عمق ثلاث أقدام، وعلى حين غرة انعدم كل شيء من هذا القبيل بالمرة. لم يبق إلا طين ركد عن ماء وتخلف. وقال لي العربي الذي يعمل على دق الأسفين إنه بلغ (التربة البكر)، إذ ليس هناك من شيء يظهر، وأن من الأفضل، بنظره، الانتقال إلى مكان آخر. وكان أن نزلت إلى (الحفرة) ونظرت فيها فاتفقت معه، لكنني قسمت المستويات فوجدت أن (التربة البكر) المزعومة ليست بعميقة جداً، على ما كنت آمل.

ذلك أني كنت أذهب إلى أن (أور) الأصلية ليست مبنية فوق تل، بل على نشز من الأرض خفيض، لا يعلو على ما يحيط به من الهور إلا بقليل. ولما كنت لا أريد أن تنقلب نظرياتي رأساً على عقب، إلا ببرهان

بيّن قاطع، لذلك طلبت من الرجل أن يعاود الحفر. وقام بذلك، وهو أشد ما يكون كرهاً له، ولم يستخرج إلا التربة الخالصة التي لا تدل على وجود أي نشاط بشري. وبعد أن حفر لمسافة ٨ أقدام، ظهرت. على حين غرة. أدوات من حجر الصوان، وكسارة آنية من فخار، مصبوغة، ترجع إلى (دور العبيد)[1]. ونزلت إلى الحفرة مرة ثانية، وفحصت جوانبها ملياً، وشرعت بتدوين ملاحظاتي عنها، وأنا على يقين من دلالتها جميعاً، لكنني، في الوقت نفسه كنت أصبوا إلوقوف على آراء غيري، أتراهم يصلون إلى النتيجة نفسها؟ وهكذا جئت باثنين من الموظفين، وبعد أن بيّنت لهما الحقائق سألتهما: كيف تفسرانها؟ لكنهما كانا غير قادرين على تفسيرها!

وجاءت (زوجي) ونظرت في الحفرة، وسُئلت السؤال نفسه، وهنا استدارت إليّ وقالت: (حسناً! طبيعي أن يكون هذا موقع الطوفان نفسه!).

وكان هو الجواب الصحيح حقاً!

لكن، ليس في مقدور إنسان أن يستند إلى حفرة مساحتها ياردة واحدة في تحقيق (موقع الطوفان)؛ لذلك، ما أن حل موسم التنقيب التالي حتى أشرت إلى الأرض الخفيضة، حيث كانت المقبرة الملوكية (وهي على شكل مستطيل مساحته ٧٥×٦٠ قدما مربعا)، فحفرنا حفرة

---

[1] أقدم عهود فجر الحضارة في جنوبي العراق، ونرجح نحن وغيرنا أن تأريخه يرجع إلى حدود ٤٥٠٠ ق.م، ومثل هذا التأريخ يستند إلى طريقة الاشعاع الكربوني

واسعة ونزلنا إلى متسوى ٦٤ قدما. وما أن عاودنا الحفر حتى بلغنا أخربة بيوت. إن جدرانها بُنيت من لبن، وهي بيوت مستطيلة الشكل في الأسفل، مدورة في الأعلى، بدلاً من أن تكون مسطحة. وكنا قد عثرنا على نظائر لها في (معبد السلالة الأولى)، في (تل العبيد)، وفي المقبرة الملوكية. وكانت الفخاريات التي عثر عليها في الغرفة من هذا النوع الذائع الشائع في القبور العالية. وعثر، تحت الأخربة، على طبقة ثانية من البيوت، فثالثة. وفي الـ ٢٠ قدماً الأولى، نبشنا ما لا يقل عن ٨ طبقات من طبقات البيوت، كل طبقة بنيت على طبقة من أخربة بيوت العهد السابق لعهدها. وعلى حين غرة أنعدم أي أثر لأخربة البيوت، وغدونا نحفر في كدس متراص من كسارة الفخار نزولاً، واستمر ذلك لنحو ١٨ قدماً. إنه موقع (معمل الأواني)، وهذه الكسارة هي التالف مما كان يصنعه ولا قيمة تجارية له. إن الـ ١٨ قدماً من كسارة الفخاريات لتدل على أن المعمل دأب على العمل أمداً طويلاً. ومن المخلفات يتبين التغير الذي طرأ على الطرز، خلال تلك المدة.

وإثر طبقة غير سميكة إنعدم الفخار انعداما تاما ووصلنا إلى طبقة خالصة من صلصال خلفه (الطوفان). لقد نبش عن بعض القبور في هذه الطبقة، وكان فيها فخار من أنفس أنواع فخار (دور العبيد). وتحت طبقة الصلصال هذه مستوى سكن الإنسان، فيه لبن متفسخ متفتت ورماد وكسار آنية.إن البيوت التي كانت قبل عهد (الطوفان) تشبه أكواخ سكان الأهوار اليوم.

وسنعود إلى تمحيص (ما اكتشفه) وولي بعد هذا.

٢- مرحلة ما قبل الطوفان وملوكها:

ويلحظ أن ترسبات (الصلصال) المذكورة آنفا تفصل بين (دورين) مهمين من أدوار (تأريخ العراق القديم) وأعني بهما: (دور جمدة نصر)[١] و (دور فجر السلالات)[٢]، وذلك بقدر تعلق الأمر ببعض مدن العراق العتيقة من أمثال: (كيش) و (الوركاء)[٣] و(شروباك)[٤].ولقد ورد ذكر (الطوفان) في (مسارد) الملوك السومريين، إذ رتبوا فيها على أساس من عاش منهم (قبل الطوفان) ومن عاش منهم (بعد الطوفان)، وإليك (مسردا) يبين مدن العراق التي وجدت قبل الطوفان وأسماء ملوكها مقرونة بالسنة على ما ورد في إحدى هذه (المسارد). إنه مسرد تتقاذفه الشكوك، وأنه أقرب إلى الأساطير. كما يلحظ أن (الملوك) الذين جاءوا بعد الطوفان لم يخل أمرهم من شائبة الأساطير أيضاً إنه يعزو إلى كل منهم أنه حكم بمعدل (ألف سنة)، لكن (سلالة أور الأولى) نجت من أمثال هذه المبالغات.

---

[١] (٣٢٠٠-٣٠٠٠ ق.م) وأطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى تل صغير معروف بهذا الاسم، كائن قرب مدينة كيش القديمة، وهي في بلاد أكد (منطقة اليوسفية - المحمودية) ويعرف الآن موقعها بـ(الأحيمر).

[٢] (Early Dynastie periods) من نهاية دور جمدة نصر إلى سنة ٢٤٠٠ ق.م، أي قيام السلالة الأكدية التي اشتهرت بمؤسسها سرجون الأكدي.

[٣] من مراكز الحضارة السومرية في أدوار فجر السلالات، ودر أسمها (أيريخ في التوراة (سفر الخلقة ١٠/١٠).

[٤] فاره الآن وموطن (أوتا - نبشتم) نوح البابلي.

الاسم	المدينة	السنة
أ- لو - لم	ننن كي	٢٨٠٠٠
أ- لا، كار	ننن كي	٣٦٠٠٠
ن - مي - ان - لو - آن - نا	باد تابيرا	٤٣٠٠٠
ان-مي-ان-كال-آن-ننا	باد تابيرا	٢٨٨٠٠٠
دموز (الراعي)	باد تابيرا	٣٦٠٠٠
أن-سب-زى-آن-نا	لاراك	٢٨٨٠٠٠
ان-مي-ان-دور-آن-نا	سبار[١]	٢١٠٠٠
(؟) جي - د	شروباك	١٨٦٠٠٠

والقائمة[٢] بسنيها مثل على اختلاط التأريخ القديم بالأساطير[٣]، وهو أمر ملحوظ بالنسبة لكثير من الشعوب الأخرى، وملوكها، في

---

[١] (أبو حبة) قرب اليوسفية الآن.

[٢] راجع: .Excavations at Ur, by sir Leonard Woolly, p. 249

[٣] قد يتوافق (العصر الحجري القديم) مع (عصر ما قبل الطوفان) والأخير قد يفسر. إلى حد ما. بـ (انحسار الجليد الأعظم) أو بـ (طغيان البحر) الذي لم يشتق من طغيانه غير (جزائر بحر أيجه).

وبالإطلاع على أعمار الملوك تلحظ المبالغة في أرقامها، ونحن نرد ذلك إلى رغبة واضعها في إظهار طبيعة أولئك الملوك شبه الأسطورية. أن قوائم سلالات المصادر العلوية

العالم القديم. إن (قصة الطوفان) نفسها تشبه حديث الملوك الذين تروي المنقولات وجودهم، وأسماء المدن التي وجدوا فيها وسنيهم. فقصة الطوفان، أصلاً، حقيقة تأريخية، لكنها انتقلت بالرواية الشفوية فأدى ذلك إلى إضافة أشياء إليها، وحذف أشياء منها، فوصلت إلى الأجيال المتأخرة عنها في إطار مزخرف من الأساطير.

إن الثابت تأريخياً هو (عهد سلالة أور الأولى) التي أشرنا إليها، وزمن المقبرة الملكية التي أشار إليها (وولي) في حفرياته، وهذا العهد يقع في الطور الأخير من عصر فجر السلالات. أننا نعرف تأريخها السياسي وملوكها ومدنها ودويلاتها على وجه اليقين، وأن أول ملوك هذه السلالة، بل من أوائل الملوك في التأريخ البشري، هو (أور نانشه).

٣- قصة (الطوفان السومرية[١] على ما وردت في (ملحمة كلكامش)، على لسان (أوتا – نبشتم):

يقول (أوتا نبشتم) لـ (كلكامش):

•ساطلعك على أسرار، وأخبرك عن سر من الاسرار الإلهية!
•كنت أعيش في (شروباك). وهي مدينة واقعة على الفرات. وقد عرفتها.

المتأخرين لا يمكن أن تفيد تأريخاً بالمعنى الصحيح للكلمة وإنما المراد منها إبراز تطور الشعب أسطورياً.

[١] نحن نوردها بكلام وجيز، ومن أراد الوقوع على ترجمتها الحرفية فليراجع (سومر، المجلد /٦، عدد /٢، سنة ١٩٥٠).

•عزمت الآلهة العظام (*) على أحداث (الطوفان)، وكان الإله (أيا) حاضراً مجلسها.

•عمد إلى نقل ذلك إلى (الصريفة: كوخ القصب) سكن (اوتا – نبشتم).

•وخاطبه: يا كوخ القصب... الق السمع إليّ يا كوخ القصب، وتأمل يا حائط!

•يا رجل (شروباك) – قوض بيتك، وابن (سفينتك)، وانبذ ما تملك!

•أنج بحياتك وخذ معك إلى (السفينة) بذرة كل كائن حي.

•وكان أن ردّي على (أيا – إلهي): سأصدع بما أمرت، ولكن قل لي: بم سأجيب أهل (مدينتي)؟

•قال: خبّرهم بأن (انليل) يجتويني، فلن أستطيع إلى العيش في (بلدتكم) سبيلا.

(*) حفظت النصوص المدونة لنا أسماء نحو ٥٠٠٠ من الآلهة السومرية، وليس معنى هذا وجود ٥٠٠٠ من الآلهة السومرية، ذلك أنه في حالات كثيرة يسمى الإله الواحد بأسماء شتى. وكان هناك (بانثيون) للآلهة السومرية تعترف به الأمة، ولما كان جميع الآلهة محليين بالضرورة فإن حظ كل واحد منهم يختلف في كل مدينة من المدن. قلنا إن الإله السومري الواحد قد يحمل أسماء مختلفة فالإله أينورتا يسمى في لاكاش (نينكرسو) – إن معبده، كان في حي كيرسو، وهو آن – شوشيناك في سوسه. فضلا عن ذلك أن واجبات الآلهة المتعددين لم تكن محددة على الوجه القاطع، وقد يطغى ويصيب أحدهم على الآخر. فالإله نينورتا هو إله الخضرة تارة وإله الحرب تارة أخرى، وإله الحصاد مرة وبطل عظيم مرة أخرى، وهو ابن انليل البكر.

وأن عشتار هي سيدة الحملات (وعندها يمكن أن تسمى أنونيتو) وهي آلهة الحب أيضاً).

راجع: Sir Leonard Woolley: Abraham pp. 192-193.

•سأنزل إلى مياه الـ (ابسو) لأعايش فيها (إلهي: أيا).

أما أنتم، أولاء، فسيهطل المطر عليكم مدرارا.

وسيعمد (الموج بشؤون الزوابع) إلى إنزال مطر من حنطة عليكم[1].

•وكان إن دعوت الناس ليتحلّقوا حولي. وشرعت ببناء (الفلك).

•أقمت هيكلها على أساس (ست) طبقات سفلية.

وقسمت (طبقاتها) على تسعة أقسام، وزودتها بما تحتاج إليه من مؤن.

•حملت عليها كل ما أملك.

•ووضعت فيها بذرة كل كائن حي.

•وأدخلت فيها (أهلي) و (عشيرتي الأقربين) وحيوان البرية ووحوشها، وأهل الصنعة جميعاً.

•وأزف اليوم الموعود، فأرسل (الموج) بالزوابع (صوب السماء) مدراراً مهلكاً.

•وأرسلت نظري إلى الجو، فإذا هو راعب يرتدّ البصر عنه وهو حسير.

•ودخلت السفينة، وأغلقت بابها.

---

[1] ليست (الحنطة) هنا مقصودة لذاتها، بل المقصود هو الهلاك والدمار، ذلك أن (المفردة) المستعملة في (الأصل) تدل على المعنيين وفي ذلك تورية يقصد بها خداع أهل المدينة.

•وما أن انبلج الصبح لذي عينين حتى لاحت سحب غرابيب سود، من الأفق البعيد تترى.

•وأرعد الإله (ادد) داخلها، واتجهت (رعوده) تلقاء السماء تعالى.

•وولى النور من الدنيا وأطبقت ظلمة عليها.

•واجتاحتها ريح صرصر عاتية، استطال أمدها يوماً واحداً.

•كانت حرباً عوانا.

•الناس لا تتبين السماء، تعورت السدود، ودأبت العواصف الهوج طوال ستة أيام بلياليها.

•وفتحت أبواب السماء بماء منهمر.

•وغطى الطوفان وجه الأرض جميعاً.

•فملئت حتى الآلهة رعباً وولت فراراً ... إلى سماء (آنو) وأقعت كالكلاب جميعاً.

وأطلقت (عشتار) صرخة تشبه صرخة امرأة جاءها المخاض!

وعلا نحيب (سيدة الآلهة) شجياً، وقالت:

(لقد تحولت "الخليقة القديمة" إلى طين لازب، لأني أنذرت البشر وتوعدت في "مجلس الآلهة).

وغدا البشر الذين ولدتهم يملأون المياه، مثل بيض السمك.

وفي (اليوم السابع) انكسرت حدة الريح العاصف، وشدة الطوفان وهدأ الإعصار، وسكن البحر.

فعمدت إلى فتح (كوة) في (سفينتي)، فوقع نور على وجهي، وأرسلت النظر إلى البحر فوجدت أن كل شيء غدا هادئاً رخياً، وأن البشر قد استحال صلصالاً كالفخار.

وانحنيت، وأخذت أرسل الدمع مدرارا.

وغب جريان السفينة لمدة ١٢ ساعة مضاعفة استوت على جبل (نصير)!

وكان أن أمسك بها، ولم يدعها تتحرك طوال سبعة أيام.

وفي اليوم السابع أطلقت (حمامة)، فعادت لأنها لم تعثر على (وكر) لها.

فأطلقت (الخطّاف: السنونو) فعاد؛ لأنه لم يعثر على (وكر أيضاً).

ثم أطلقت (غراباً) وكانت المياه قد انحسرت، فحام وحط وأكل.. ولم يعد!

واطلقت كل شيء إلى (الرياح الأربع) وقدمت قرباناً.

وما أن شمّت الآلهة (رائحة القربان) الذكية حتى تساقطت عليه، تساقط الذباب.

وقالت الآلهة: (عشتار): (أيتها الآلهة – إنني إذ لا أنسى عقدي اللا زورد الذي كان يطوّق جيدي، أتذكر هذه الأيام ولن أنساها.

لتدن الآلهة من القربان جميعاً إلا (انليل) الذي أحدث (الطوفان) من دون أناة أو روية، فأهلك البشر جميعاً.

وعندما وصل (انليل) وشهد (الفلك) استشاط غضباً لأن بعض البشر قد نجا من الهلاك وبقي حياً!

فانبرى له (الإله: ايا) وقال له:

(أيها البطل! يا عقل الآلهة، كيف جاز لك أحداث (الطوفان)، من دون أناة أو روية فليحمل المذنب وزر خطيئته. لا تفرط في الشدة على من أذنب ولا تلن له حتى يفلت من زمامه).

ثم أن (انليل) رقي السفينة وأخذ بيدي وأخرجني وزوجي منها..

فسجدنا له.

ثم وقف بيننا ومر بيده على ناصية كل منا وباركنا قائلاً:

(ما كان (اوتو – نبشتم) حتى يومنا هذا إلا إنساناً، أما الآن، فليصبح (أوتو – نبشتم)، وزوجه (الهين) مثلنا نحن الآلهة.

سيعيش (أوتو – نبشتم) عن (فم الأنهار) بعيداً.

وكان أن أخذ بيدي وأسكنت عنده.

نستخلص من هذه (القصة – الأسطورة) أن ليس ثمة سبب حمل الآلهة على إفناء الجنس البشري بالطوفان إلا العداء الذي استحكم بين الطرفين، كما يستشف من (القصة) أن (مجلس الآلهة) كان قد اتخذ قراراً بتدمير (شروباك) وحدها، ولم يقرر إفناء الجنس البشري كله، وأن (انليل) هو الذي أراد إهلاك البشر من دون روية. وما كان (انليل) في معتقد السومريين إلا الهواء مجسّماً، وهو يلقب. مثل الإله (آنو). بـ (أبى الآلهة)، ولما كان (الإله آنو) قد أخلد إلى عرشه في السماء، معتزلاً أمور البشر، لذا حل (انليل) محله وأصبح أعظم الآلهة في الديانة السومرية والبابلية، ومعنى اسمه (الرب – الهواء). إنه. على ما يتراءى في القصة. ذو عرام يأخذ البشر بالشدّ وكانت (نفر) موضع عبادته، لذلك كان لها المقام الأسنى من بين المدن السومرية القديمة. ومن وظائفه المهمة

المحافظة على (ألواح القدر)، إذ إن من يحصل عليها يصبح ذا مكنة على التحكم في الأقدار. أما الإله (ايا) الذي ورد ذكره في (الأسطورة)، ويطلق عليه في بعض الأحيان (انكي)، فهو (ثالث الآلهة) بدءاً من (آنو)، وهو (إله الحكمة)، معلم البشر القراءة والكتابة وأصول العمران، ومن (موقفه) في (الأسطورة) يتبين أنه (محب للبشر)، وأنه هو الذي فشى (سر قرار الآلهة) بإحداث الطوفان وإهلاك البشر، وسربه إلى (اوتا – نبشتم)، وكان موضع عبادته في (اريدو) أبو شهرين الحالية، من المدن السومرية المقدسة.

أما (كوخ القصب) الوارد في (قصة الطوفان) فهو . بلا ريب . سكن أوتا – نبشتم، أما ما قالته الإلهة عشتار: (يا أيتها الآلهة. كما أنني لا أنسى عقد اللازرود الذي في عنقي فسأتذكر هذه الأيام ولن أنساها، فنرجح، نحن وغيرنا، أن لهذا شبهاً في التوراة، إذ ورد فيها أن (قوس قزح) كان علامة بالعهد الذي أخذه نوح بعدم وقوع طوفان يجتاح الأرض. إن هذا العقد كان قد أعطاها إياه (آنو)، أو (آن) في السومرية.

ومما يدل على الوجه القاطع أن قصة الطوفان هذه قديمة في الثقافة السومرية العثور على لوح في (سبار – أبو حبة) يذكرها ويرجع تأريخه إلى ٢١٠٠ ق.م. إن هذا اللوح مشوه إلى حد كبير إلا أنه، على الرغم من ذلك، لا يتعسر أمر الوقوف على التشابه بين القصة التي يحملها وبين (ملحمة كلكامش).

وذكر (بيروس: Berossus) ترجمة لأسطورة الطوفان في (تأريخه) نابه الذكر، وقد تبدل فيها اسم (ايا) باسم (كرونوس: Chronos) واسم (اوتا – نبشتم) باسم (الملك اكريسو تروس: Xisu Thros) ومدينة (شروباك Sguruppak) باسم مدينة (سبار Sippar) وختام هذه القصة من قصص الطوفان أن الخلود لا يمنح للملك المذكور وزوجه حسب، وإنما يشمل ابنته وملاحه أيضاً.

قصة الطوفان البابلية:

أثبت (جورج سميث). من منتسبي المتحف البريطاني. أن (قصة الطوفان البابلية) لا تتسم بالأصالة، وذلك نتيجة فك خط الرقيمة الـ ١١ من (ملحمة كلكامش)، وأنها ذات أصل سومري، لا لبس في ذلك ولا غموض. وكان (ارنو بوبيل Arno poebel) قد نشر في سنة ١٩١٤، الثلث الأسفل من رقيمة سومرية ذات ستة أعمدة (هي الآن في مجموعة نفر في متحف الجامعة) خصص الجانب الأعظم منها إلى (قصة الطوفان).

إن (الرقيمة) المذكورة آنفا متكسرة، وعلى الرغم من ذلك فهي تجلو كثيراً مما يتصل بـ (خلق الإنسان)، وأصل (الوشائج البشرية)، وهي تذكر ما لا يقل عن خمس مدن من مدن العراق التي قامت قبل الطوفان، في الأقل.

وبعد (فجوة) تقدر بـ (٣٧ سطراً) تبدأ مدونات الرقيمة؛ لذلك فمض علينا مبتدأ (الأسطورة).

وتبدأ (المدونات) بخطاب (إله) أيا إلى غيره من (الآلهة) ولعله بدأ خطابه قائلاً: إنه يريد إنقاذ البشر من الدمار والهلاك، وأنه. نتيجة ذلك. سيعاود الإنسان بناء المدن والمعابد للآلهة.

ثم تلي ذلك (ثلاثة أسطر) يتعسر وصلها بسياق ما ترويه الأسطورة. والظاهر أنها تتعلق بوصف (الفعال) التي على (المعبود) أن يقوم بها ليجعل أقواله حقة.

وتلي ذلك (أربعة أسطر) تتصل بـ (خلق الإنسان) و بـ (خلق الحيوان) وبـ (خلق النبات)، وإليك العبارة التي تحتويها الأسطر الأربعة المشار إليها آنفا:

(بشرى، في دماره سأعمل

إلى (ننتو: Nintu) سأعيد ما لمخلوقاتي سأعيد الناس إلى مستوطناتهم.

وفي المدن سيبنون الأماكن الخاصة بالشرائع الإلهية.

سأجعل ظلهم مستقراً.

إن أماكن قراراتي سيعثرون عليها في أمكنة خالصة.

لقد وجه الماء الصافي الذي يطفىء النار

لقد أتقن الطقوس ورفع من شأن الشرائع الإلهية

وعلى الأرض قام بـ .... ووضع عليها ....

وبعد (آن) و (انليل) و (انكي)[1] و (ننخورساك).

صاغ البشر، ذوى الرؤوس السود.

ومن الأرض نبتت الخضرة العميمة.

وخلقت الحيوانات، والمخلوقات ذوات الأربع، في السهل، وصورت على أحسن تقويم.

ثم تلي ذلك (فجوة) من نحو ٣٧ سطراً، نعلم، بعدها، أن (ذات الجلال) قد هبطت من السماء وأنه قد تأسست (خمس مدن).

(بعد هبوط ذات الجلال، من السماء وبعد نزول الـ (تيارا) الستة، و (عرش الجلالة من السماء).

قام باتقان الطقوس، ورفع شأن الشرائع الإلهية

وأسس المدن الخمس في ....

أمكنة طاهرة

وأطلق عليها اسماءها وخصصها بوصفها مراكز للعبادة

---

[1] هو الإله (ايا) نفسه ويسمى معبده (أي – ابسو) أي (بيت المياه) إشارة إلى أنه شيد بيته في المياه الأولى التي جسموها بالإله (ابسو) على ما ورد في قصة الخليقة ونسب البابليون إلى هذا الإله زوج وسموها (ننن كي) و (دم كينا)، وهو أب للإله البابلي مردوخ. ومما يجدر ذكره أن (الكون) عند قدامى سكان العراق يتألف من (السماء) و (الأرض) على ما يدل عليه اسم الكون في السومرية وهو: (آن – كي).

أول هذه المدن (أريدو) وقد جاء بها الزعيم نديمد

والثانية (بادتيبرا) وأعطاها الـ....

والثالثة (لاراك) وأعطاها إلى اندربيل خرساك

والرابعة (سيبار) وأعطاها إلى البطل (اوتو)

والخامسة (شروباك) وأعطاها إلى (سود)

وما أن أطلق الأسماء على هذه المدن حتى خصصها مراكز للعبادة

وجاء بـ.....

وأسس نظام تطهير النهيرات)

- ثم تلي ذلك فجوة من (٣٧ سطراً)، ولعلها كانت تتناول (القرار) الذي اتخذته الآلهة بإحداث (الفيضان) وتدمير (بني الإنسان). وما أن يصبح (النص) قابلاً للاستبانة حتى نجد أن بعض الآلهة غير مطمئنة وسعيدة إلى اتخاذ ذلك (القرار) القاسي. ثم أن (النص) عن (زيوسدرا) وهو نظير (نوح) في (التوراة). إنه موصوف فيه بالتقوى ومخافة الله، يرقب (الوحي الإلهي) يأتيه في الأحلام، دوماً. ويتراءى أنه كان يركن مستقراً إلى جدار، ويلقي السمع إلى (صوت الآلهة) يتناهى إليه ويعلمه بأنها اتخذت في (مجلسها) قراراً بإطلاق (الطوفان).

و (تحطيم بذرة الإنسان).

- إن العبارة التي تستطيل وردت على هذا المنوال:

(الطوفان.....

....

عومل على هذا ....

ثم بكى (نينتو) مثل ....

وأرسلت (انانا)[1] الطاهرة تعزية إلى شعبها

ورجع (انكي)[2] إلى نفسه يستشيرها (ان) (انليل) (انكي) و (ننخورساك)ط

آلهة السماء والأرض قد نطقوا باسمي (آن) و (انليل)

ثم أن (زيوسدرا)(*) ، ملك

وباشسبو .....

بنى .... ضخماً

بتواضع وطاعة كان دوما

يأتي بجميع ملوك الأحلام

وإنه بافصاحه عن اسمي السماء والأرض .... جدارا

○ وألقى السمع (زيو سندرا) وهو واقف إلى جانبه

---

[1] أو (اينانا) أو (اينني) عند السومريين وهي عشتار (التي تمثلها كوكب الزهرة) – ومعنى اسمها (سيدة السماء) وعرفت باسم (عشتاروت) و (عشتوريت) و (فينوس) و (افروديت) عند مختلف الشعوب.

[2] (ايكي) موصوف في التراث السومري – بالحكمة والدهاء وقسوة الخلق وهي الصفات التي يراد أن يتصف بها المعنى بشؤون الإرواء.

(*) يلحظ أن الاسم ورد في النص السومري المستخرج من نفر (نحو ١٧٠٠ ق.م) بهذه الصيغة على حين ورد في الملحمة البابلية التي يعود تاريخها إلى ما بعد ذلك بقليل (ارا هاسيس: العاقل للغاية) ولعل هذا اسما مستعارا لـ (اوتا – نبشتم).

- قف قرب الجدار، إذ سأقول لك كلمة ....
- خذ (كلمتي).....
- إصغ إلى (تعليماتي)
- بـ.......... سيكتسح (الطوفان) مراكز العبادة.
- ليحطم (بذرة الإنسانية).
- إنه (القرار) و (كلمة مؤتمر الآلهة).

بأمر (أن) و (انليل)

ستختم صفحة جلالها وحكمها.

•وكان مما لابد منه أن يمضي (النص)، فيثبت (تعليمات) صادرة إلى (زيو سندرا) ليبني سفينة ضخمة وينقذ نفسه من الدمار. لكن ذلك مفقود، إذ ثمة (فجوة) أخرى، من ٤٠ سطراً، عند هذه (النقطة) عينها. وما أن يستبين (النص) . كرة أخرى. حتى نجد أن (الطوفان) قد دهم. بكل عرام وقوة. (الأرض)، وهاج ماؤه عليها وماج، واستدام ذلك سبعة أيام، بلياليها، ثم يظهر (الإله – الشمس اوتو) مرة أخرى، ومعه الضوء النفيس، ليغمر الأرجاء كلها، وعندها يقف (زيوسندرا) في حضرته ويقدم القرابين.

إن السطور التي تمثل ذلك هي:

(انقضت الأعاصير كلها، بقوة ما بعدها من قوة، وكأنها إعصار واحد....

- وغمر الطوفان. في الوقت نفسه. مراكز العبادة كلها...

- وبعد ذلك، غمر ماء (الطوفان) الأرض واستدام ذلك سبعة أيام وسبع ليال
- وكانت (السفينة الضخمة) تهزها الأعاصير وهي تجري فوق الماء الغمر
- وظهر (اوتو) فسكب الضوء على السماء والأرض معا
- وفتح (زيوسندرا) في (السفينة الضخمة) نافذة
- وأرسل البطل (اوتو) أشعته إلى تلك السفينة الضخمة
- وسجد (زيونسدار- الملك) أمام (اوتو).
- وقتل الملك ثوراً وذبح خروفاً.

•ثم تلي ذلك (فجوة) أيضاً، مؤلفة من ٣٩ سطراً، كرة أخرى، إن السطور الطويلة في (نصنا) لتصف تأليه (زيوسندرا) ذلك أيه، إثر سجوده أمام (آن) و (انليل)، منح الحياة بوصف إلهاً، كما منح (نفساً سرمدياً خالداً)، فاقرأ السطور الآتية:

- (أفصح (آن) و (انليل) عن (نفس السماء).
- وعن (نفس الأرض) بما عندهما من ...
- ومد نفسه....
- وتعالت الخضرة ناجمة من الأرض.
- وسجد (زيوسندرا) الملك أمام (آن) و (انليل)
- ومتّع كل من (آن) و (انليل): (زيوسندرا).
- لقد جادا عليه بحياة شبيهة بحياة إله
- ونفساً سرمدياً شبيهة بنفسه إله
- انزلاها له

- ثم أن (زيوسندرا) الملك...
- من حفظ النبات، وبذرة (بني الإنسان)
- في الأرض العبور (أرض ديلمون)

  المكان الذي تشرق فيه الشمس
- وجعلاه يسكن فيها.

• إن بقية (الرقيمة) الحاوية على نحو ٣٩ سطراً مهشمة لذلك لا نعرف شيئاً أكثر عما حدث لـ (زيوسندرا) الذي صيغ شكله في موطن الخالدين مجدداً.

قصة الطوفان، على ما وردت في (التوراة):

يتناول (سفر التكوين) من (التوراة) في (الإصحاح السادس) و (الإصحاح السابع) و (الأصحاح الثامن) و (الأصحاح التاسع)، (قصة الطوفان) بخاصة، كما يتناول: (كيف خلق العالم؟)، (وكيف خلق آدم؟) و (كيف طرد من الجنة؟)، و (كيف تكاثر ذرّه؟) و (كيف تم إغراق البشر بالطوفان أيام نوح؟) وأخيراً (كيف تكاثر نسله بعد ذلك كرّة أخرى؟) بعامة.

وإليك (قصة الطوفان)، بكلام وجيز، على ما وردت في (سفر التكوين) تمهيداً لمقابلتها ومقارنتها، لإظهار أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينها وبين (قصة الطوفان) السومرية – البابلية:

الإصحاح السادس

- لما ابتدأ الناس يتكاثرون على الأرض..
- ورأى (الرب) أن شر الإنسان قد كثر في الأرض
- فقال الرب: سأمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته
- أما (نوح) فوجد نعمة في عينيّ الرب
- كان نوح رجلاً باراً.... وولد... ثلاث بنين: ساما وحاما ويافثا...
- وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت ظلما

- فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي
- أصنع لنفسك (فلكاً) من خشب حفر، تجعل الفلك مساكن وتطليه، من داخل ومن خارج، بالقار، وهكذا تصنعه.
- ٣٠٠ ذراع طول الفلك، وخمسين ذراعاً عرضه، وثلاثين ذراعاً ارتفاعه.
- تصنع كوّا (الفلك) وتكمله إلى حد ذراع من فوق....
- وتصنع باب (الفلك) في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله
- فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك. كل جسد فيه روح حبوة من تحب الشيء.
- ففعل (نوح) حسب كل ما أمره به الله، هكذا فعل

الإصحاح السابع

- وقال الرب لنوح: ادخل، أنت وجميع بنيك، إلى (الفلك) لأني إياك رأيت باراً لدى هذا الجبل.
- من جميع البهائم الطاهرة، تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى...
- ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين: ذكراً وأنثى...
- ومن طيور السماء أيضاً: سبعة سبعة: ذكراً وأنثى.
- لاستبقاء نسل على وجه الأرض
- لأني ـ بعد سبعة أيام أيضاً ـ أمطر على الأرض أربعين يوماً، وأربعين ليلة...
- وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته

- ففعل نوح حسب ما أمره به الرب.
- ولما كان نوح ابن ست مائة سنة صار طوفان الماء على الأرض، فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان، ومن البهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض دخل اثنان اثنان إلى نوح، إلى الفلك، ذكراً وأنثى،
- كما أمر الله
- وحدث، بعد الأيام السبعة ، أن مياه الطوفان صارت على الأرض... وانفتحت طاقات السماء
- وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض، فكان الفلك يسير على وجه الماء...

فتغطت جميع الجبال الشامخة... خمسة عشر ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه... فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض... وتبقى نوح والذي معه في الفلك فقط... وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوماً.

الإصحاح الثامن

- وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه
- وانسدت ينابيع الغمر، وطاقات السماء
- وبعد ١٥٠ يوماً نقصت المياه واستقر الفلك في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر من الشهر، على جبل (اراراط)... وفي العاشر من أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال

- وحدث . بعد أربعين يوماً . أن نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان عملها، وأرسل الغراب
- ثم أرسل الحمامة فلم تجد مقراً لرجلها، فرجعت
- فلبث أيضاً سبعة أيام أخر
- وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت إليه الحمامة عند المساء
- وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها.
- فعلم (نوح) أن المياه قد قلت عن (الأرض)
- فلبث أيضاً سبعة أيام أخر
- وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه
- وكلم الله (نوحاً) قائلاً: أخرج من (الفلك)، أنت وامرأتك وبنوك ونساء بيتك معك وكل الحيوانات... ولتتوالد في الأرض
- .... فخرج
  وبنى للرب مذبحاً...

الأصحاح التاسع

- وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم: أثمروا واملأوا الأرض
- وقال الله هذه هي علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم
- وضعت قوسي في السماء فتكون علامة ميثاق بيني وبين الارض وتظهر القوس في السحاب
- إني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد
- فلا تكون المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد

- فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية، في كل جسد على الأرض
- وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه، فأبصر حام أو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما...
- وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة
- فكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة (*)
- ومات.

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن كاتب التوراة هو (عزرا الكاتب) وقد عاش على ما ورد في (التوراة) نفسها في حدود سنة ٤٥٨ (ق.م) وكان حفيا عند الملك ارتحششتا ملك ماذى وبابل.

وهذا، بنظرهم، يفسر تأثر التوراة بقصص الطوفان البابلية.

(*) الصورة التي ترسمها (التوراة) لـ (نوح التوراتي) أنه الأصل الثاني الذي نسل البشرية. هو ابن (لافح) ووالد (سام) و (حام) و (يافث) ومنهم ولد بنو الاسا. (سفر التكوين: ٥/٢٨، ٩/٢٩).

وبسبب من خطايا البشر الأزلي أنزل(الرب) بهم نازلة والطوفان الذي شمل الأرض كلها ودمرها تدميراً. لكن نوحاً كان عبداً مطيعاً لذلك أمر بأن يبنى (الفلك) وينقذ أهله وممثلي عالم الحيوان في الأرض. وعندما انحسر الطوفان استوت السفينة على جبل اراراط حيث بنى نوح محراباً وقدم الضحايا المحروقة إلى الرب. وكان بين (الرب) و (نوح) عهداً شمل بني الإنسان كلهم. فالرب لن يحطم من خلقهم كرّة أخرى. وأعطى (الرب) الـ (قوس قزح) دلالة على امضاء هذا العهد. وكان عمر نوح عندما حان حينه ٩٥٠ سنة [سفر التكوين: ٩/٢٩).

وإليه ينسب المرقد المعروف باسمه في لواء العمارة، وعن سبيل علاقته مع الملك المذكور آنفااستطاع أن يجعل القانون اليهودي أساساً للطائفة اليهودية التي ظهرت في فلسطين كرة أخرى.

وفي (التوراة) سفر خاص باسمه... وكان قد اتخذ سبيله إلى فلسطين للغاية المذكورة آنفا[1].

---

(1) Encyclopedia International, Ezra and Ezra, Book of.

قصة الطوفان على ما وردت في (رقيمات الخزانة الآشورية):

في أثناء قيام سر هنري لايرد Sir H. Layard (١٨٥٠) بالنبش في خرائب نينوى، ولاسيما في قصر الملك الآشوري: سنحاريب، عثر على غرفتين فرشت ارضيتاهما برقيمات من طين مفخور، عليها مدونات، وهي تعلو عن أرضية الغرفتين بنحو قدم واحدة. وفي سنة ١٨٥٣، عثر مساعده: رسام، في قصر آخر بناه الملك الآشوري: آشور بانيبال ٦٦٨-٦٢٦ ق.م، على مجموعة أخرى من الرقيمات لا تقل عن الأولى خطراً. وهكذا بلغ مجموع الرقيمات الكلي: ٢٥٠٧٣ رقيمة، وهي تكوّن خزانتي كتب ملكيتين على وجه التمام. وكان أن أرسلت الرقيمات إلى انكلترا في سنتي ١٨٥٤/١٨٥٥ بغية فتح خطها والوقوف على محتواها من قبل الاختصاصيين من أمثال رولنصن وهنكس وغيرهما في (المتحفة البريطانية)، لكن ذلك لم يتم إلا بعد ١٥ سنة، على يد جورج سميث، مساعد أمين العاديات الآشورية في (المتحفة) المذكورة وهو الذي عثر على القطع الـ ١١ من رقيمات، قصة الطوفان البابلية(*). أنه اكتشاف رائع عظيم... فاستمع إلى (كلماته) في وصف اكتشافه:

(*) يعين موقع هذا الجبل عادة بجبل (بير عمر كدرون) وعلوه ٩٠٠٠ من الأقدام وهو في جبال زاغروس جنوبي الزاب الأدنى.

التقت عيناي عبارة تفيد بأن السفينة استوت على جبال (نيزير: Nizir) (ارارات التوارتي) ثم يعقب ذلك: سرد إطلاق الحمامة، وعثورها على وكر لها، فعودتها. لقد تبين لي جلياً أني عثرت على قسم من قصة الطوفان الكلدانية، في الأقل[1]. لقد هز هذا مشاعر الناس في لندن وأثار اهتمامهم، وعرضت صحيفة (ديلي تلغراف Daily Yelegraph) مبلغ ١٠٠٠ جنيه كي يسافر (سميث) إلى نينوى بحثاً عن كسارت الرقيمة التي تكمل (القصة). وكان ذلك، واستطاع من أن يكتشف عن الشطر الأكبر من الـ ١٧ سطراً من الكتابة المتعلقة بالعمود الأول الخاص بقصة الطوفان الكلدانية، وهو يلائم المكان الذي كانت فيه (فجوة) على حظ من خطر في تلك (القصة).

إن (قصة الطوفان) . على ما تجلت من هذه كلها . ذات طابع روائي (دراماطيقي) وهي على غرار (القصة التوراتية) سواء بسواء. أنها تذكر (أوتو – نبشتم)، وهو من كان بيته في (شروباك)، على الفرات. وأنه، على غرار نوح، أوحى إليه الإله (أيا: Ea) بخبر الكارثة التي ستحل بالأرض، وأوصاه بأن يصنع فلكاً، كما أعطاه تفصيلات تتصل بحجمها وبنائها. وما أن فعل ذلك حتى صدع بها أمر (أيا)، بقدر تعلق الأمر بشحنها بما يملك جميعاً وبجميع بذور الأرض. وهنا يكمل (اوتو – نبشتم) القصة، قائلاً: (لقد جعلت جميع أفراد أسرتي في (الفلك) وذوي قرباي أيضاً، وحيوانات الحقل أيضاً، ووحوشه، وجميع الحرفيين

---

[1] راجع: Hutchinson: R.W.:A Geentury of Explpration at Nineveh, London, 1929.

اليدويين حملتهم على ولوجها). وما أن قرب يوم (الطوفان) الموعود، حتى أخذ يرقب طلائع الإعصار الآتي: (لقد ملئت رعباً وأنا أنظر إليه، فدخلت (الفلك) وأوصدت بابها. وإلى ربانها (والظاهر أنه ملك) عهدت أمر ذلك البيت العظيم وكل ما يحتوي عليه. ثم يمضي أوتو – نبشتم فيقص قصة الدمار المروع الذي نزل بالأرض والأعاصير التي أطبقت عليها: (لقد كان الماء يهجم على الناس وكأنها معركة ناشبة. وما كان الأخ بمستطيع رؤية أخيه، وما كان الناس ليميزوا من السماء. وأقعت الآلهة على غرار ما يفعل الكلب، ولجئت إلى الجدار. وارتفع عويل (الآلهة عشتار) وكأنها امرأة تعول من نازلة. وندبت سيدة الآلهة بصوت عذب. ودأبت الريح العاصفة على الهياج، وأطبق الإعصار على الأرض كلها. وما أن حل اليوم السابع إلا توقف الإعصار، لقد كانت العاصفة والمعركة التي خيضت على غرار ما يفعل الجيش.

وفي الوقت نفسه استوت (الفلك) على جبل (نيزير) وإثر فتح ثقب الهواء أخذ (اوتو – نبشتم) يقوم بالتحريات التي أجراها (نوح) عينها: (جئت بحمامة وأطلقتها. وطارت ثم عادت، لأنها لم تجد وكراً لها. وجئت بخطاف وأطلقته، وبسبب من عدم استطاعته العثور على وكر له، عاد. وجئت بغراب وأطلقته، وطار الغراب وشهد المياه وهي تغيض. وخاض فيها، لكنه لم يعد. وعلى غرار ما فعل (نوح التوراتي) خرج (اوتو – نبشتم) من (الفلك) وقدم القرابين للآلهة، وتجمعت الآلهة كالذباب، على من كان يقدم القرابين. وقدمت الآلهة عشتار جواهرها الفريدة، التي لا تثمن، حمداً وشكراناً، لكن (الإله انليل)،

وهو من كان غضبه سبباً في المتاعب كلها، لم يسر، في بادىء الأمر، من أن تبقى حياة ما، وأخيراً حمله أحد زملائه على إظهار الرحمة وإسباغها على من في (الفلك) راحلين. ورفع (اوتو – نبشتم) وزوجه إلى مصاف الآلهة.

وما أن يبست الأرض. كرة أخرى. وعادت الملكية من عل، حتى علمنا بأنها كانت في كيش أول مرة؛ لذلك ظهر فيها أول اسم في قائمة الملوك بعد (الطوفان)، وهو مؤسس السلالة الأولى التي ظهرت في (كيش). ثم يأتي بعده نحو ٧٠ ملكاً ينقسمون على ١٤ سلالة، ويبلغ مجموعي سني الحكم المقسومة لهم نحو ٣٠,٠٠٠ سنة. ولو عرضنا عن استحالة كون هذه السنين تمثل حياة أولئك الملوك حقاً، إذ ورد أن حكم أحدهم استطال لمدة ١٥٠٠ سنة، فإننا لنعلم من التنقيبات الآثارية أن السلالات. على تتابعها. لم يبلغ أمدها أقصر من تلكم المدة بكثير. فنحن نعرف . على سبيل المثال . أن نهايتهم لا تزيد على أن تطابق تغلب الأكديين على (أرض سومر)، وهذا لا يرجع إلى أوغل زمن إلا إلى سنة ٢٨٠٠ق.م ونحن نعلم أننا لو أخذنا بالبينة التي تظهرها ترسبات الطين في كل من (الوركاء) و (فاره) وعيّنا (طوفان) المدونات بنهاية (عهد جمدة نصر)، فإن نظام السلالات السومرية القديمة يجب أن يضغط ليكون عهداً أمده يتراوح بين ٢٠٠–٥٠٠ سنة. لذلك يجب أن نجتزىء

ونحمل أنفسنا على عدّ نظام أرقام حكم الملوك مبنياً على رمز فلكي من نوع ما[1].

ما انفكت الشعوب الفطرية البدائية والمتحضرة تروى (قصة الطوفان)، كابراً عن كابر، جيلاً أثر جيل، ويلحظ الشبه الكبير بين (قصته) على ما وردت في (الرقيمات الآشورية)، (الأساطير السومرية) وهي الأصل، وقصة نوح التوراتي، ونسترجح أن (إبراهيم) قد نقلها، في رحلته من أور (الكلدان) إلى أرض كنعان. أن مرد الأصل في (القصة)، سومرية كانت أم بابلية، وتوراتية كانت أم آشورية إلى حدوث فيضان عظيم في بلاد ما بين النهرين السفلية استطال زمنه - وصحبه إعصار مدمر ورياح صرصر عاتية وزلزال وتدفق موجات عارمة من (الخليج العربي)، فغمر الماء جميع الأرضين المعروفة لسكان عالم تلكم الأزمنة، ولهذا يفسر خلود (القصة) عبر أجيال.

ومن الطريف أن نلحظ أيضاً بعض آثار (قصة الطوفان) على ما وردت في هذه المصادر الأربعة في التراث العربي أيضاً فالجاحظ في كتابه (الحيوان)[2]: (وقال صاحب الحمام: أما العرب والأعراب والشعراء، فقد أطبقوا على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائده، وهي التي استحقت عليه الطوق الذي في عنقها، وعند ذلك أعطاها الله تعالى تلك الحلية ومنحها تلك الزينة، بدعاء نوح عليه السلام حين رجعت إليه، ومعها من الكرم ما معها، وفي رجليها من الطين ما برجليها، فعوضت

---

[1] راجع: Seton Lloyd: Twin Rivers p. 20.

[2] ج١ ص ٤٦٩/٤٧٠.

من ذلك الطين خضاب الرجلين، ومن حسن الأدلة والطاعة طوق العنق.

(وقال جهم بن خلف الشاعر العربي، يذكر الحمامة بالنوح والغناء والطوق ويتطرق إلى (دعوة نوح):

وقد شاقني نوح قمرية　　طروب العشي هتوف الضحى

من الورق نوّاحة باكرت　　عسيب اشاء بذات الغضا

تغنت عليه بلحن لها　　يهيج للصب ما قد مضى

مطوقة كسيت زينة　　(بدعوة نوح لها إذ دعا)

قلت: إن ما ورد على لسان الكتاب والشعراء العرب من نثار معلومات تتصل بقصة (الطوفان) لا يتعدى أن يكون من الإسرائيليات، ومنها هذه، لأن (الطوفان القرآني)لا يحفل بمثل هذه التفصيلات، فالقصص في القرآن، على التحقيق لم ترد لذاتها، بل للعبرة والاعتبار حسب.

تمحيص (فريضة وولي)، المستندة إلى تنقيباته، في الطوفان:

ذكرنا فيما مضى: أن (الراحل سرلينارد وولي) المنقب المتمايز كان قد حفر (مجسات) عدّة، خلال تنقيباته في (أور)، قرب سور المدينة الجوانية، وفي ضمن المنطقة الذائعة الصيت المسماة بـ (المقبرة الملوكية)

والتي تعود بزمنها إلى (فجر السلالات)، وأنه، بعد أن نفذ إلى مستويات سكنية عدّة، بلغ طبقة من ترسبات صلصالية نقية خلفتها المياه، سمكها ٩ أقدام، ولا تضم أي شيء تقريباً (*) إن فوق هذه الطبقة، وما تحتها، بشكل مباشر كسارات الخزف[1]، والعديد من اللقط التي تعود إلى (حضارة عبيد) وفي قعر الحفر كانت التربة البكر. لقد كان الآثاري . النابه الذكر . وولي يذهب إلى أن طبقة من ترسبات الطين، سمكها ٩ أقدام، لا شك في أنها مخلفة عن طوفان علو مائه ٢٥ قدماً في الأقل. وفي أرض بسيطة، كأرض ما بين النهرين، إن طوفاناً علو مائه ٢٥ قدماً ليشمل مساحة من الأرضين طولها ٣٠٠ ميل، وعرضها ١٠٠ ميل. وخلص من ذلك كله: إلى حدوث طوفان، لا نظير له، في أي عهد من عهود تأريخ بلاد ما بين النهرين المتأخرة. لذلك عد (الفيضان) الذي طغى على مساكن (عهد عبيد) في (أور) هو (الطوفان) الذي ورد ذكره في (التوراة). وأضاف وولي إلى ذلك: (أن هذا ليس بالأمر العجيب، فإبراهيم كان قد رحل من أور الكلدان – (سفر الخليقة ١٠/٣١) – ومن الممكن جداً أن يحمل معه قصة الطوفان إلى أرض كنعان، وهي

(*) تفصل (هذه الطبقة) بين عصري (عبيد) المبكر والمتأخر. ومعنى هذا أنها تخص العصر الحجري – النحاس نفسه . وفي مواقع أخرى جرى فيها نبش، ومنها (أوروك) وجدت الطبقات الحضارية تتوالى من دون انقطاع: من عصر (عبيد) المبكر حتى المتأخر، ومن دون أن تعترضها طبقة من صلصال مترسب. وليست هناك من بينة تحمل على الاعتقاد بأن التواتر البلدي يؤيد وجود حد فاصل بين (العصر الحجري الحديث) و (عصر فجر التأريخ) وبشكل يحمل على أن (الطوفان) يفصل بين العصرين.

[1] الخزف وقد دهن باللون الأزرق أو الأخضر على غرار ما يشاهد في صناعته المحلية عندنا اليوم.

قصة كانت شائعة ذائعة في أيامه شيوع (قصة فرسان المائدة المستديرة Knights of the Round Table) في انكلترا، أيام القرون الوسيطة.

وفي الواقع أن ما ذهب إليه (وولي) لم ينظر إليه أحد بجد أو بوصفه حقيقة قاطعة فيها سوى (المكتشف) نفسه، وذلك للأسباب الآتية:

١-إن الترسبات التي اعتدها وولي مخلفة عن (الطوفان) شغلت منطقة محددة، على حين عدت الكتب المقدّسة (الطوفان) عالمياً، أي شاملاً للعالم المعروف في أيامه.

٢-إن أريدو[١] التي لا تبعد أكثر من ١٥ ميلاً من أور، وهي أخفض منها إلى حد ما، لم تظهر لنا بأية بينة، أو أثر، على شمولها بهذا (الطوفان).

٣-صحيح إنه قد عثر على ترسبات من طين في مواقع أخرى، لكنها تتباين كثيراً، حسب سمكها، وتختلف في وضعها في السلسال التأريخي chronology. فعلى سبيل المثال أن مستوى الفيضان في (كيش)[٢] يرجع إلى (فجر السلالات) وليس إلى (عهد عبيد) وينطبق ذلك أيضاً

---

[١] تذهب الأساطير السومرية إلى أنها من مدن ما قبل الطوفان وهي من أقدس المدن السومرية القديمة، بعد (نيور: نفر) وموقعها الحالي (أبو شهرين).

[٢] تل الأحيمر اليوم يمثل موقعها، والتل هو البقية الباقية من زقورة (أينر كورمه: الدار العجيبة أو الموطن المشهور)، وتعود الزقورة إلى هيكل ايلبابا، إله الحرب وزوجه عشتار.

على الترسبات الصلصال الرقيقة التي عثر عليها في (اوروك) و(لكاش) ومدينة أوتنبشتم: شروباك)[1].

لقد عدّت هذه المستويات فيضانات محلية ولا تمثل آثار الطوفان العظيم من ذلك نخلص إلى أن التنقيبات الآثارية التي قام بها (سرليناردوولي) في (أور) و (الطبقة الصلصال) التي عثر عليها لا يمكن أن تدل. قطعيا. على أنها من مخلفات (الطوفان) العظيم الوارد ذكره في الكتب المقدسة. أنني أعتقد بأن الأساطير القديمة السومرية والبابلية والآشورية التي ذكرت أن طوفاناً عظيماً حدث في الدنيا المعروفة لديهم إنما يرجح تفسيره على أحد الأوجه الآتية:

١-إن مدنا من مدن العراق القديمة دهمها فيضان عظيم أهلك الحرث والنسل وتناقلت خبره الأجيال، واتسع أمره في أذهانها، والخيال الشرقي منفتح بطبعه، حتى انتهى إلى الصورة التي تظهرها الأساطير، ويتلمس أثرها في (العهد القديم).

٢-وقد يكون هذا الفيضان العظيم مسبب عن فعل (الخليج)، نتيجة اندفاع مائه إلى الشمال بتظافر المد العالي والأعاصير حتى غمر مساحات كبيرة من العراق الجنوبي وخرب مدنه ومزارعه، وأهلك خلقاً عظيماً من أبنائه، ثم أخذت الأجيال المتعاقبة تروي خبره جيلاً بعد جيل وهو يتضخم ويتسع، شأنه، بالخيال المنفتح الذي ألمعنا إليه.

---

[1] تقع شوروباك الآن في فقرياب على بعد ٣٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من أوروك ويسمى موقعها (فاره) وقد أجرى كل من (كولدواي) و (اندره) و (نولدكه) تنقيبات فيها استغرقت المدة الزمنية الكائنة بين ١٩٠٢- ١٩٠٣.

على أن هاتين الفرضيتين لا يمكن أن تفسرا . على الوجه القاطع . (القصة السومرية – البابلية) ولا (القصة التوراتية) المتعلقة بـ (الطوفان) وذلك بسبب الحقيقتين الآتيتين:

١-إن الأساطير السومرية – البابلية تعزو (الطوفان) إلى فعل المطر الهتون الدائب لا إلى فعل الأنهار.

٢-وإن أسطورة الفيضان ليست حكراً على ما تناقلته أجيال بلاد ما بين النهرين، فثمة أساطير كثيرة أخرى شاعت في كثير من بلدان العالم تتحدث عن فيضان عظيم أهلك الحرث والنسل أيضاً.

وعلى ذلك ليس أمامنا إلا تفسير قصة (الطوفان) على أحد هذين الوجهين:

١-إما أن تكون (القصة) أسطورية محضة ابتدعها أناس فطريون وأرادوا من ورائها تغطية حدث عظيم في الماضي.

٢-أو أن الطوفان حدث حقاً ولكن في فجر ما قبل التأريخ ولم يتحقق آثارياً بعد[1].

لقد لاحظ الإنسان في العراق فعل المطر الهتون ذي الوقع الشديد فتناقلت الأجيال ذلك، جيلاً أثر جيل عن طريق الرواية الشفوية، بطبيعة الحال، ثم تجمعت قصصه في قصة كارثة أسطورية واحدة.

---

[1] راجع: .George Roux (Ancient Iraq Chapter 7)

وبما يؤيد أن الذي يخلق أسطورة كهذه هو رغبة الإنسان في تفسير الحوادث الطبيعية التي تنزل به وتذيقه العذاب وردها إلى غضب (الغيبيات) التي لم يستطع عقله البدائي استكناهها، فزعم وجودها ثم نسب إليها ما لم يستطع تعليله. ومما يؤيد ذلك أن (قائمة الملوك السومرية) تقول: إن الملكية، بعد الطوفان (خفضت من السماء) وهذه المرة كان مسرحها (كيش). فالآلهة التي غضبت على الإنسان، ونكبته بالطوفان، جادت عليه بملوك من السماء. وعن (سلالة)[1] ملوك كيش الأولى نلحظ أن الأساطير لا تزال تؤدي دورها، إذ أن فيها ٢٣ حكماً، كل حكم يمتد بمعدل ١٠٠٠ سنة. وإذا ما حذفنا اسماً واحداً من تلك السلسلة، - والظاهر أن الكاتب لم يستطع إلى قراءته سبيلاً، وبعد أن جمعها من رقيمات عتيقة -، فإننا نلحظ أن من بين الـ ٢٢ ملكاً: ١٢ يحملون أسماء سامية، أو ألقاباً سامية من أمثال: (كالبوم: كلب) أو (كالومو: حمل) أو (زقاقيب: عقرب) وهذا يدل على اختلاط السومريين بالساميين بعد (عهد الطوفان) مباشرة.

---

[1] يلحظ جورج رو أن (سلالة في تأريخ بلاد ما بين النهرين لا تعني (أسرة ملكية) ولكن سلسلة من الملوك التابعين على حكم (دويلة – المدينة) لمدة من الزمان. ولا تذكر قائمة الملوك السومريين إلا الأسر التي حكمت. واحدة تلو الأخرى، على أرض سومر كلها، المصدر السابق.

المضمون الأدبي لـ (قصة الطوفان) في ثقافة شعوب العراق القديمة:

جرى بعض نقدة الأدب على تمييز (القصص: Legends) من (الأساطير: Myths)، وهم يعرفون الأولى باستنادها إلى حوادث معينة، ووقائع حقّة، صيغت في قالب روائي، ويضربون الأمثال عليها: الإلياذة والأوديسة عند الرومان، و (قصة الطوفان) في (ملحمة كلكامش) عند شعوب بلاد ما بين النهرين القديمة. أما (الأساطير) فتعرف بأنها ثمرة الخيال الإنساني الصرف اصطنع لتفسير بعض القضايا الوجودية، ومنها (أسطورة الخليقة) عند شعوب العراق القديمة، و(قصة الطوفان) عند الإغريق.

وهؤلاء النقدة يذهبون أيضاً إلى أن السمة المميزة لإنتاج شعوب العراق القديمة الأدبي هو أنه (شعري) و (أسطوري)، وباستثناء القليل منه ليس هو بالفلسفي ولا العقلاني.

ولتوضيح ما يذهبون إليه نقول: إذا لم يأت دجلة في سنة ما، بماء وفير فهذا مصور في إنتاجهم الأدبي: (أن النهر أبى أن يرتفع سواء أكان ذلك بسبب غضبه، أم بسبب غضب الآلهة، وعلى ما عللّوا به حدوث الطوفان عفوياً، أي أن مرد ذلك لا إلى شح في الثلوج أو انحباس في المطر. ولهذه القضية واقعة معينة دالة موضحة ترويها رقيمات القوم: لم ترتفع، ذات مرة، مياه دجلة، في عهد (كودية)، لذلك قصد هذا المعبد

وبات فيه ليلته يستلهم الآلهة لتدله على السبب، فظهر له الإله في الحلم – ومن عادة تلك الشعوب استحصال التوجيه الإلهي عن طريق الاتصال بالآلهة في الأحلام – فظهر له الإله بطريقة لم يستطع إلى تعليلها سبيلا، لذلك لجأ على العادة المتبعة إلى الكهنة، ففسروا له حلمه بأن الإله (ننكرسو) يروم منه أن يبني معبداً جديداً، ففعل!

هذا وأن (قصة الطوفان البابلي) لتظهر تأثير ديانة قدماء العراقيين في إنتاجهم الأدبي، فالآلهة تشارك البشر في الملاحم، وهي شخوص في القصص والأساطير، كما أنها تعكس كيف يغدو الملك بطلاً أسطورياً، وأعني بالملك: كلكامش الذي يؤلف خبر الطوفان جزءاً من (ملحمته). قلت إنه: ملك وأزيد على ذلك فأقول أن أسمه ورد في ثبت ملوك الوركاء، في عهد سلالتها الأولى والتي لا يعرف الباحثون – الآثاريون أكثر من أسماء ملوكها. إن (ملحمة كلكامش) التي تؤلف (قصة الطوفان) جزءاً منها تعد أطول ملحمة شعرية في الأدب البابلي، وقد تكون قصة الطوفان أصلاً موضوعاً مستقلاً ثم أدمجت في ملحمة كلكامش، إذ جاءتنا عنه روايات سومرية أخرى. ونستطرد فنقول: إن (قصة) من – (قصص الطوفان) وجدت عند جل الشعوب والأقوام شائعة في أرجاء آسيا، وجزائر المحيط الهادي، والقارتين الأمريكيتين: الشمالية والجنوبية، ولكنها قليلة في أوروبا وأقل من القليل في أفريقية. وهذه تختلف عن قصة الطوفان البابلي في كون الأخيرة مرتكنة إلى أن (طوفاناً عظيماً) وقع في مطاوى تاريخ بلاد ما بين الرافدين القديم حقاً وانتقل خبره، عن طريق الرواية الشفوية، فأضيف إليه أشياء وحذفت

منه أشياء جيلاً فجيلا. إن (قصة الطوفان التوراتي)، على ما ذكرنا، تشبه (قصة الطوفان البابلي).

ونرجح لذلك أن مصدر القصتين واحد، أعني طوفاناً حدث في القسم الجنوبي من العراق، في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، (عهد جمدة نصر)، لقد ورد ذكره كحد فاصل في إثبات الملوك السومريين: فثمة ملوك قبله وثمة ملوك بعده.

ويلحظ أن فحوى ومحتوى قصة الطوفان هو (نزعة الإثم) وما تجره من خطايا عرف بها البشر، ورغبة الحد منها على يد الآلهة التي ترقب ما يرتكبه البشر بعين يقظة ساهرة لتصحح أخطاءه، وبذلك يعود عهد الصلاح بعد انتشار الفساد، وهذا المضمون تجده في كثير من القصص والأساطير الإنسانية. وهنا يؤدي الخيال المنفتح دوره الكبير في نسج القصة، ولا أدل على ذلك من أن عمل أوتو نبشتم العبد الصالح، وبناءه الفلك، وحشره نماذج من المخلوقات فيه، إنما أريد به النجاة من نتيجة غضب الآلهة على البشر وإرسالها (الطوفان). وأن عمله الصالح نفسه هو الذي رفعه إلى مرتبة الآلهة وكتب له الخلود السرمدي.

رأينا أن (قصة الطوفان) و (ملحمة كلكامش) – وكلاهما تتناولان (الطوفان) عرضاً هما الملحمتان الرئيستان في الإنتاج الأدبي لشعوب بلاد ما بين النهرين القديمة، ونضيف إلى ذلك: أنهما لم تظهرا بالشكل الخالد (الكلاسيكي) إلا في (عصر حمورابي) وعنده كتبتا باللغة

الأكدية، وإن لم تعد الإشارة إلى أن جذورهما ممتدة إلى العصر السومري، على التحقيق.

يقول مورتكات ما محصله[1]: (وبينما تشكل ملحمة كلكامش انتاجاً فنياً شعرياً، وبأكثر من افصاحها عن وثيقة دينية – إن أمكن في الشرق الفصل بين الأمرين – تكون (ملحمة الخليقة) أقرب إلى الأدب الكهنوتي الفلسفي الديني. أنها قصة التكوين البشري الرسمية المعتمدة لدى الحكومة، وعلى هذا الأساس تقوّم روحياً في كل عصر. إن (ملحمة الخليقة) وثيقة ذات خطر كبير، باعتداد تأريخ العصر، ذلك أنها تدلنا على تنظيم آلهة العالم الأكثر قدماً وطريقة عبادتها على وفق ما كانت ترتأيه الحكومات القائمة، كما ترينا تكوين العالم وطريقة حكمه وتدلنا على طريقة الأعمار والأقدار، وأخيراً تعلمنا كيف خلقت البشرية وأسست الملكية. أن (ملحمة كلكامش) صنيع شعري يسمو على الزمان وهي أقدم ملحمة بطولية في العالم.

ومن حيث التركيب مثالاً يحتذى في الملاحم، ومن حيث الموضوع تتناول أيضاً المشكلة الأزلية التي تهم الجنس البشري أي: مشكلة الحياة والمهات، وبالتالي جدوى الوجود الإنساني، أو عدم جدواه، وبالتالي خلق وفناء الإنسانية على أيدي الآلهة.

---

(1) تأريخ الشرق الأدنى القديم – تأليف أنطون مورتكات تعريب توفيق سليمان. وعلي أبو عسان وقاسم طوير ص ١١٥.

إن المشكلة الرئيسة التي تدور حولها ملحمة كلكامش هي بلوغ مرتبة الحي الذي لا يموت وذلك بعد التعرف على الموت.

وبصدد النقطتين الأخيرتين نقول:

إن (أوتا – نبشتم) في (ملحمة كلكامش) هو الإنسان الوحيد الذي أنقذه (ايا)، بدافع العاطفة على الجنس البشري من (الطوفان)، وزوده بـ (عشبة الحياة) الخالدة.

(ذلك أنه قال لـ (كلكامش):

انبني، ها هنا، بيتا على الدوام

أنبقى هنا على الدوام

انتآخى هنا إلى الأبد)؟.

وكان عطف (اوتا – نبشتم) – نوح البابلي – على (البطل) حين زوده بـ (العشبة العجيبة) التي تخلد الشباب، إلا أن أفعى سرقتها منه في أثناء رجوعه. وهكذا عاد (البطل) إلى (اوروك) خائباً، بعد أن لقي في مسعاه نصباً، ليجد في (صرحه الكبير السرمدي) عزاءاً، وأعني به (سور المدينة) الذي بناه، مؤمناً بأن عمل الإنسان هو أخلد من الإنسان، أخيراً.

وثمة ملحظ عن (مجمع الآلهة) الذي أمر بتدمير الجنس البشري (الطوفان)، على ما مر بنا:

لقد كان هذا (المجمع) مؤلفاً من عدد كبير من الآلهة المتجانسة المتوافقة يمثل بعضها قوى الطبيعة والآخر الكواكب، ومنها ما يخص المقاطعة أو المدينة أو الأسرة. كما أنها كانت تمثل قوى الحياة والمهات وأسرار الكون أيضاً، وأنها مدبرة أقدار البشر. وكانت مكانة كل (إله) في (مجمع الآلهة) تابعة لوضع دويلته، فخطر (انين) و (نانا) مثلاً كان يرتفع وينخفض تبعاً لارتفاع أهمية (أور) أو (أوروك) وانخفاضها. كانت سلطة هذه (الآلهة) تشمل الأرض والسماء على حد سواء، منذ فجر تأريخ العراق القديم.

وثمة (ملحوظة) أخرى بشأن الملحمتين الخالدتين أيضاً: فمن (كلكامش) نستخلص أن شطراً من رقياتها، في الأقل، يعود إلى العصر البابلي القديم، على حين مناص من أن يكون بطل (ملحمة الخليقة) من (العصر السومري)، سيد العالم، وخالقه (انليل) إله نيبور، وما كان هذا إلا إله بابل المحلي. ومنذ أصبح الأخير إله إمبراطورية نجده يحتل مكاناً عليا، كموجه للعالم طراً

قصة (الطوفان) العبرية(*) سليلة قصة (الطوفان) البابلية:

المعروف، قطعا، أن قصة (الطوفان) العبرانية على ما وردت في (سفر التكوين: Genesis) جرى تدوينها، على غرار تدوين الـ(الأسفار الخمسة: Pentateuch)[1]، وعلى ما وصلت إلينا بعيد سبي اليهود في بابل، وإن كنا لا نعرف تاريخ تدوينها على التعيين. وما كان مدونوها أصلاء في ذلك، ولعل هدفهم الوحيد كان تجنب هذه الأصالة عينها. إن (هدفهم الأول) كان جمع وتنظيم الكتابات المقدسة

(*) كلمة عبراني Hebrew ذات أصل عريق، وقد أطلقت في (سفر الخليقة ١٤/١٣) على إبراهيم، فلا مناص من أن تكون اسماً عشائرياً. وعلى الاعتقاد الشائع إنها مشتقة من الاسم (عبر) وهو اسم أحد أسلاف إبراهيم نفسه، لذلك فهو يرجع إلى عهد سبق زمانه بمدة طويلة، إنه السلف السادس من أسلاف إبراهيم، أن الاسم عبيرو Habiru هو الاسم عبراني: Hebrew سواء بسواء. أن الاسم (يهود) أعم من أسم (عبرانيين) أو (بني إسرائيل) لأن الأولى تشمل (العبرانيين) ومن اتخذ اليهودية ديناً وهو ليس منهم. أما بنو إسرائيل فيراد بهم الأسباط الاثني عشر الذين أخرجوا من مصر إلى فلسطين – والأسباط عند اليهود كالعشائر عند العرب سواء بسواء. ولقد ألف ١٠ من هؤلاء الأسباط مملكة إسرائيل أما السبطان الباقيان فقد كونا مملكة – يهودا.
راجع قاموس الكتاب المقدس (١/٩٣ وما بعدها).

[1] الكلمة يونانية النجار مركبة من كلمتين هما: Penta على معنى (خمسة) و (Teuchos) على معنى (أسفار). والأسفار الخمسة هي: (التكوين) و (الخروج: Exodus) و (اللاديين: Lanticus و (العدد Numbers) و (التثنية Deuteronomy) أنها، على رأي العبرانيين القدامى هي الأسفار المنزلة على موسى، ثم توسعوا فاطلقوها على الأسفار التي تكون (العهد القديم): وليس في القرآن الكريم ما يحدد الأسفار أو يفصلها.

التي تختص بالجنس اليهودي في أسفار مدونه، بالاقتباس من المصادر الشفوية.

لذلك فإن كلاً من (سفر الخليقة) و (سفر الخروج) حديث، وإن كانت مصادرهما قديمة. لقد تجلت هذه الحقيقة في القرن التاسع عشر الميلادي: فدرّاس (العهد القديم) أثبتوا أن الأسفار الخمسة (ليست من الوحي الذي نزل على موسى - وهو ادعاء لم يرد صراحة فيها أيضاً وإن نسختها الحالية ليست إلا تدوينات الكتاب اليهود، أثر السبي البابلي، أي بعد قرون كثيرة من الحوادث التي تدونها، وتزعم حدوثها. والذائع المعروف الشائع أن هؤلاء الكتاب لم يركنوا إلى مصادر خطية، لأنها لم تكن ميسورة أصلاً وأن الكتاب الذين دونوا تلك الأسفار لم يكونوا إلا دعاة دينيين، ممن أرادوا دعم آرائهم بإرجاعها إلى ماضي شعبهم القديم، وأن التواتر كان معينهم الأول الفذ. إن الركون إلى مثل هذا التواتر، بطبعه، يبين صحة فحوى ومحتوى ما دونه أولئك الكتاب، ولا شك في أنه قد أضيفت إلى (الحوادث) أشياء وزوقت عبر مراحل انتقالها من فم إلى فم. وهكذا نجمت طائفة من النقد قبيل انتهاء القرن التاسع عشر تنسف الأساس التأريخي لكل القصص الواردة في (أسفار العهد القديم الأولى) تقريباً[1].

لكن الذي يغنينا من ذلك كله هو (قصة الطوفان). أنها، على ما وردت في (سفر الخليقة)، تحفظ لنا الشطر الأكبر من (النسخة البابلية).

---

[1] راجع: Sir Leonard Woolley: Abraham, p. 20.

لإن الكتاب اليهود لم يحفظوا لنا القصة حسب وإنما ألفاظها أيضاً، وبكل أمانة غالباً، أن قصة الطوفان العبرية والقصة البابلية التي نسلتها تتسمان باللون المحلي، ومن الدلائل على ما نقول:

١-طلاء (السفينة) بالقار، وهو من منتوجات بلاد ما بين النهرين منذ القديم.

٢-ضحالة الماء النسبية، إذ لم يزد عمقه على ٢٦ قدماً، ومع ذلك أغرق جميع الأرضين!

٣-واحتفاظ النسخة العبرية بصيغة الجمع لـ (الآلهة)،والدالة على عقيدة تعدد الآلهة البابلية الأولية، ومعلوم أن (الوحدانية كانت عقيدة العبرانيين المتأخرين).

صحيح أن الفارق بين القصتين . روحياً، كبير . أما أن (الأولى) نسلت (الثانية) فهذا صحيح لاشك فيه أيضاً. لقد عاش اليهود بين البابليين أيام السبي، وتأثروا بدينهم تأثراً عميقاً، وشأن الدين في ذلك شأن الأفكار الاجتماعية أن القرن السادس، قبل الميلاد، وعهد السبي البابلي منه بخاصة، هو الذي عرّف اليهود بقصص الخليقة والطوفان، وما كانوا ليعلموا عن ذلك، قبله، شيئاً. ومن المحقق أن الأفكار الدينية المضمنة في هذه (القصة) على ما وصلت إلينا، تعود إلى زمن يلي السبي، لأن تدوينها النهائي حدث خلال السبي أو بعده وثمة ملحوظ آخر يتصل ببطل قصة (الطوفان) البابلية ، وهو على ما ذكرنا يدعى: اوتا — نبشتم، وبطل قصة — (الطوفان) العبرانية: نوح. إن العلاقة بين الاسمين، على ما هو بيّن، معدومة. وعلى الرغم من أن في (العهد

القديم) تفسيراً للاسم: (نوح)، ولكنه لا يعدو لعباً على الألفاظ، ومصطنعاً، أنه محاولة لتفسير ما لا معنى له حقاً[1]. ولا يرد الاسم (نوح) في أي صنيع يهودي آخر، سواء أكان ذلك على انفراد، أم بالتركيب مع أسماء أخر. ولسائل أن يسأل: لم أذن الاسم (نوح) في قصة الطوفان العبرانية يا ترى؟ يجيب عن ذلك (الأب باروز Father Burrows)[2] في الأجزاء الحرانية من (أسطورة الطوفان) يرد اسم البطل بصيغة نحموليل Nahmolel[3] أو نا حمو ليل ?Na ah-mu Liel وأن هذا الاسم، أما بالاشتقاق أو بالاختصار، وعلى غرار ما يحدث في العبرانية (وعلى مثال لما حدث لاسم الملك الآشوري تيغلات بيليصير الذي أصبح أبول)[4] فاسم نا حمو ليل ذو رابطة، بالاسم (نوح المعروف). ومن المفيد أن نقول إن اللهجة (الحرانية)، التي كتبت بها

---

[1] راجع: .Sir Leonard Woolley: Abragam p. 175

[2] Notes on Harrian, in J.R.A.S. 1925 PP. 281-4.

[3] لا تعرف طريقة نطق الأسماء في السومرية والبابلية تماماً ف (نحموليل) قد ينطق على وجه قريب من نطق اسم (نوح) – وهو في السامية نحو Nuh: راجع:
Sir Leonard Woolley: Abraham p. 176 (foot- note).

[4] في أورفه (اديسا القديمة) الكائنة قرب نصيبين (حران القديمة) جامع فيه حوض مليء بالسمك هو: (سمك إبراهيم) والعامة تجله كثيراً وتحرص على عدم اصطياده ويذهب (التواتر المحلي) إلى أن (إبراهيم) عندما هاجمه جنود نمرود دعا الله أن ينجده فأمده بعون من الجند، المشاة والخيالة، خرجوا من الماء وما أن استرجعوا ما نهبه جنود نمرود وولوا هاربين، حتى عادوا إلى البركة سمكاً.
وهذا يدل على أن معتقداً كان شائعاً بأن إبراهيم ثوى فيها. الشبه بين أسمي (أورفه) و (أور الكلدان) هو السبب في وضع الأخيرة في الخوارط التأريخية محل أورفه.
راجع:
Sir Leonard Woolley, Abraham p. 591-60.

الرقيمة، كانت لغة- التخاطب في منطقة الشرق الأوسط كله، ومنها منطقة حران نفسها. وعاش في حران إبراهيم، و (تارح) وجاءت (ربيكا) منها أيضاً، ولبث فيها يعقوب ١٤ سنة على ما تقول المصادر العبرانية. فلو كانت (قصة الطوفان) فيها شائعة، على ما نعلم نحن الآن، وأن اسم بطلها يبدأ بهذه الحروف، ألا يستتبع ذلك أن النسخة العبرانية لقصة الطوفان قد استمدت من مصادر شمالية. وعلى ذلك يلحظ الأب باروز أن اسم (جبل اراراط) الذي لا يظهر في النسخة البابلية، ويظهر في النسخة العبرانية بوصفه الجبل الذي استوت عليه (السفينة)، وهو أعلى جبل في تلك المنطقة وأول ما يظهر من اليابسة عند انحسار الماء، وهذا دليل آخر على استمداد القصة العبرانية من مصادر شمالية أيضاً.

وجاء إبراهيم على ما ورد في (العهد القديم) من (أور) فلا شك في أن يكون قد سمع قصة الطوفان السومرية فيها، إنها من قصص (الخليقة) و (التكوين) التي نقلها إبراهيم من (وطنه الأول) وكانت القصة على شكلها الأولي الوارد في الرقيمات المسمارية، وبعد تطور بطيء، وإدخال أشياء كثيرة عليها، اتخذت الشكل الذي هو الآن بين أيدينا.

وملحوظ آخر أيضاً: أن الأدب البابلي، شأنه شأن الأديان القديمة قد أثر فيه الدين ومن ذلك إشراك الآلهة في الملاحم على ما ورد في (قصة الطوفان). ومعلوم أن تقديم الضحايا والقرابين كان جزءاً لازماً من الديانات القديمة. إن آلهتها، على ما كانت تتراءى لأتباع تلك

الأديان،عرفت الجوع والظمأ، وعلى غرار ما كان يعرفهما الإنسان، وكان لزاماً على (عابديها) أن يقدموا لها الماء والطعام. إن(قصة الطوفان البابلية) تروي كيف أن أبناء الجنس البشري عندما دهمهم الطوفان، جاعت الآلهة العليا، وذلك لأنها عدمت القرابين التي كان البشر يقدمها لهم يومياً، وعلى ذلك ما أن غادر (أوتا – نبشتم) السفينة ووضع رجله على اليابسة إن السفينة لا تجري على اليبس) حتى كان أول شيء فعله هو تقديم الضحايا، وسرعان (ما شمت الآلهة النكهة الطيبة وتجمعت على غرار ما يتجمع الذباب على القربان).

إن النسخة العبرانية للطوفان تعدم هذا (التشبيه الساذج)، لكن نوح دأب على بناء المذبح وتقديم (النذور المشوية، من كل حيوان نظيف، ومن كل طير نظيف)، والرب يدأب على شم النكهة الطيبة (ويقسم بأنه لن ينزل الضربة القاصمة بكل شيء حي) لا عبادة من دون تضحية، وهذه إثارة من تلك العهود. وما عزم عليه إبراهيم من تضحية ابنه إسماعيل للرب، منها، ما إلى الشك في ذلك من سبيل.

من ذلك يتبين: أن قصة (الطوفان) نجمت من الصنيع الأدبي: السومري – البابلي – الآشوري، فكان لها نظير في (العهد القديم). فيها (السفينة) وقد طليت بالقار، متوج بلاد ما بين النهرين منذ القديم، وفيها (رجل) واحد معين، وأن اختلف اسمه هنا وهناك، وقد فسرنا ذلك فيما مضى، أنذرته الآلهة بأن (طوفاناً) سيغمر الأرض وشيكاً. ثم فتحت أبواب السماء بماء منهمر وأغرق الماء كل من كان على الأرض، واستوت السفينة على (جبل) اختلف أسمه، هنا وهنا، وقد فسرنا

السبب فيما مضى أيضاً، ثم وأرسل ذلك الرجل ثلاثة من الطيور. ثم يخرج من السفينة الناجون ليقدموا القرابين. أن الشبه بين ما ورد في المصادر السومرية والبابلية والآشورية والعبرانية تجعل الأصل واحداً.

وبطبيعة الحال هناك اختلافات ثانوية، ففي النسخة البابلية تعدد للآلهة، وأحدهم هو الذي قرر أن يطلق الطوفان والآخر هو الذي أفضى بسر ذلك، وفي النسخة البابلية ما يفيد بان الآلهة بعد إطلاق الطوفان امتلأت منه رعباً. لكننا لا نستطيع أن نقر أن ذلك كان شأن (جيهوه فاه: يهوه) أيضاً. إن عشتار، آلهة الحب تجبه الإله العظيم الذي كان المسؤول الأول عن الطوفان، وتوبخه بمرارة على ما جنت يداه، فهي تفيد بأن ليس من حق الإله تدمير الجنس البشري كله، إذ قد يكون بعضهم في عداد الطالحين، لكن من بينهم من هو في عداد الصالحين أيضاً. فإن أخطأ البشر ففي مقدور الآلهة أن توقع عليهم العقاب، أو تصيرهم جياعاً، أو تطلق عليهم الأسود للإقلال من عدتهم، لكن طوفاناً عاماً توقع أمر كان من الواجب ألا يطلق عليهم أبداً. إن هذا الإنكار يبلغ مبلغاً لا يرقى إليه ما ورد في العهد القديم: ف (ذو الخطأ مسؤول عن خطيئته) أو بعبارة أخرى: (ألا تزر وازرة وزر أخرى). ولم يفهم اليهود هذه الحقيقة أبداً[1].

---

[1] راجع: .Ghiera:"They wrote on clay pp. 130-131

مصادر البحث

1-Old Testament – Book of Genesis.

2-Sir Leonard Woolley Excavations at Ur.

3-Sir Leonard Woolley: Abraham.

4-Mackenzi: Myths of Babylonia and Assyria.

5-Pinches: The Religion of Baylonia and Assyria.

6-King: Babylonian Religion.

7-The old Testament in the Light of His- toucal Records and Legends of Assyria and Babylonia..

8-Encyclopaedia of Modern Knowledge Vols. I and II.

9-Hutchinson, R.W.: A century of Ex- plorations at Nineveh, London, 1929.

10-Encyclopaedia, International, Ezra and Etza, Book, of.

11-Seton LIoyd: Twin Rivers.

12-George Roux: Ancient Iraq.

13-Chiera: They wrote on clay.

14-مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – طه باقر.

15-Ancient Near Eastern Texts.

قصة الطوفان

كما يرويها "أوتو – نبشتم" الخالد لجلجامش

ركب جلجامش و "أور – شنابي" في السفينة
انزلا السفينة في الأمواج وهما على ظهرها
وفي اليوم الثالث قطعا في سفرهما ما يعادل شهراً وخمسة عشر يوماً
من السفر الاعتيادي
وهكذا بلغ "أور – شنابي – مياه الموت
وعندئذٍ نادى "أور – شنابي" جلجامش وقال له:
هيا يا جلجامش خذ مرديا وادفع به
وحذار أن تمس يدك مياه الموت
اسرع يا جلجامش وتناول مرديا ثانياً وثالثاً ورابعاً
يا جلجامش خذ "مرديا" خامساً وسادساً وسابعاً
خذ يا جلجامش "مردياً" ثامناً وتاسعاً وعاشراً
خذ "مرديا" حادي عشر وثاني عشر؟
وبمائة وعشرين دفعة "مردي" استنفذ جلجامش كل "المرادي"[1].
ثم شمّر جلجامش عن يديه ونزع ثيابه ونشر يديه القلوع

---

[1] لأنهما كانا يمخران في (مياه الموت) فإن جلجامش لم يستعمل (المردي) الواحد إلا لدفعة واحدة وبعد أن يغطس معظم طوله يرميه في اليم مخافة أن تلمس يده مياه الهلاك.

وكان "أوتو – نبشتم" قد شاهد السفينة من بعيد فناجى نفسه بهذه الكلمات

علام دمرت "صور الحجر" الخاصة بالسفينة؟

ولم يركب في السفينة شخص غريب غير صاحبها؟

فإن الرجل الآخر الآتي ليس من اتباعي

(بقية النص مخرومة ولكن يتضح من السياق أن جلجامش يلتقي بجده "أوتو – نبشتم" فيسأله هذا عن سبب مجيئه وهي الأسئلة نفسها التي وجهها إليه صاحبة الحانة والملاح، وقد حذفناها من الترجمة لتكررها مرتين فيجيبه جلجامش الإجابة نفسها تقريباً وقد أثبتنا ترجمتها لأن فيها بعض التغيير والزيادة):

أجاب جلجامش أوتو – نبشتم وقال له:

يا "أوتو – نبشتم" كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي

ويغمر الحزن قلبي وتتبدل هيأتي ويصير وجهي أشعث

كمن أنهكه السفر الطويل، ويلفح وجهي الحر والقر

وأهيم على وجهي في البراري، وإن خلي وأخي الأصغر الذي طارده

حمار الوحش في البرية واصطاد النمور في البوادي

إنه انكيدو الذي تغلب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال.

الذي امسك ثور السماء وقتله، والذي غلب "خمبابا"

الذي يسكن في غابة الأرز.

صديقي وخلي الذي أحببته حباً جماً والذي صاحبني.

في جميع الصعاب قد أدركه مصير البشرية.

فبكيته ستة أيام وسبع ليال ولم أسلمه للقبر.
حتى وقع الدود على وجهه
لقد أفزعني الموت حتى همت على وجهي في البراري
فالنازلة التي حلت بصديقي قد جثمت بثقلها على صدري
وأقضت مضجعي حتى همت مطوفاً في البراري
إذ كيف أهدأ ويقر لي قرار، وإن صديقي الذي أحببت قد صار تراباً
وأنا الا سأكون مثله فأهجع هجعة لا أنهض من بعدها
أبد الدهر؟
ثم أردف جلجامش وخاطب "أوتو – نبشتم" قائلاً:
ولذا تراني قد جئت لأرى "أوتو – نبشتم" الذي يدعونه "القاصي"
لقد طوفت في كل البلاد واجتزت الجبال الوعرة وعبرت كل البحار
لم يغمض لي جفن ولم أذق طعم النوم
لقد أنهكني السير والترحال وحل بجسمي الضنى والتعب
ولم أكد أبلغ بيت "صاحبة الحانة" حتى خلقت ثيابي وتمزقت
لقد قتلت الدب والضبع والأسد والفهد والنمر والضبي والأيل
والوعل وجميع حيوان البر
أكلت لحومها واكتسيت بفروها
.... [1]
قال "أوتو – نبشتم" لجلجامش:

---

[1] باقي النص مخروم منه نحو ٤٢ سطراً.

"إن الموت قاس لا يرحم
متى بنينا بيتاً يقوم إلى الأبد؟
متى ختمنا عقداً يدوم إلى الأبد؟
وهل يقتسم الأخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر؟
وهل تبقى البغضاء في الأرض إلى الأبد؟[١].
وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام؟
والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها ولم يكن دوام وخلود منذ القدم[٢].
ويا ما أعظم الشبه بين النائم والميت!
ألا تبدو عليهما هيأة الموت؟
ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بين العبد والسيد إذا جاء أجلهما؟
إن "الأنوناكي"[٣]، الآلهة العظام تجتمع مسبقاً
ومعهم "مامتم" صانعة الأقدار تقدر معهم المصائر
قسموا الحياة والموت[٤]
ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه؟
وقال جلجامش لـ "أوتو – نبشتم"، القاضي[٥]:

---

[١] قارن سفر الجامعة ٩:٦.

[٢] قارن سفر الجامعة: ١:١١، ١:٤، ٢:١٦، ٩:٥، ٣:١٩.

[٣] اسم عام يطلق على مجموع الآلهة ولاسيا آلهة العالم الأسفل بصفتها قضاة ذلك العالم.

[٤] قارن سفر التثنية ٣٠:١٩.

[٥] بهذا السطر يبتدي اللوح الحادي عشر وفي نهاية اللوح العاشر يوجد سطر التذييل المألوف: " اللوح العاشر"، من "هو الذي رأى كل شيء" من سلسلة "جلجامش"، مكتبة آشور بانيبال"، ملك العالم، ملك بلاد آشور.

ها إنني أنظر إليك يا أوتو – نبشتم
فلا أرى هيأتك مختلفة، فأنت مثلي لا تختلف عني
أجل! فأنت لم تتبدل بل إنك تشبهني
لقد كنت أحسبك كاملاً كالبطل على أهبة القتال
فإذا بي أشاهدك خاملاً مضطجعاً على ظهرك
فقل لي كيف دخلت في مجمع الآلهة ونلت الحياة (الخالدة)؟
فأجاب "أوتو – نبشتم" جلجامش وقال له:
"يا جلجامش سأفتح لك عن سر محجوب
سأطلعك على سر من أسرار الآلهة:
"شرباك"[1]، المدينة التي تعرفها أنت
والراكبة على شاطىء نهر الفرات
إن تلك المدينة قد تقادم العهد عليها وكان الآلهة فيها
فرأى الآلهة العظام أن يحدثوا طوفاناً وقد زينت لهم قلوبهم ذلك
لقد اجتمعوا وكان معهم "آنو" أبوهم
و "أنليل" البطل مشيرهم
و "ننورتا" مساعدهم (وزيرهم)

---

[1] "شروباك"، وتعرف أطلالها الآن باسم (فارة) بالقرب من الوركاء على نحو ١٨ ميلاً إلى الجهة الشمالية الغربية، وكانت من المدن السومرية الشهيرة، وموطن بطل الطوفان البابلي "أوتو – نبشتم" وجاء ذكرها في إقبات الملوك السومرية من بين المدن الخمس التي حكمت فيها سلالات قبل الطوفان (أنظر المقدمة). وستأتي الإشارة في الملحمة إلى أن الآلهة كانوا يحكمون في هذه المدينة في أزمان ما قبل الطوفان إذ كانت الملوكية بيد الآلهة. وبعد حدوث الطوفان صعدت الملوكية إلى السماء ثم رجعت إلى الأرض من بعد الطوفان، وكانت أول سلالة حاكمة في البلاد سلالة كيش الأولى.

و "أنوكي" حاجبهم[١].

وكان حاضراً معهم "نن – أيكي – كو" أي، "أيا"

فنقل هذا كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه:

"يا كوخ القصب! يا كوخ القصب، يا جدار، يا جدار!

اسمع يا كوخ القصب وأفهم يا حائط[٢].

يا رجل "شروباك" يا ابن، "أوبارا – توتو"!

قوّض البيت وابن لك فلكاً[٣] (سفينة)

تخل عن مالك وانج بنفسك

انبذ الملك وخلص حياتك

وأحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة[٤]

والسفينة التي ستبنيها عليك أن تضبط مقاسها (قياسها):

ليكن عرضها مثل طولها[٥].

واختمها جاعلاً إياها مثل مياه "العمق"

ولما وعيت ذلك قلت لربي "أيا":

"سمعاً يا ربي سأصدع بما أمرتني به

ولكن ما عساني أن أقول للمدينة؟ بم سأجيب الناس والشيوخ؟"

ففتح "أيا" فاه وقال مخاطباً إياي، أنا عبده:

---

[١] بعضهم يترجم ذلك بمأمور أو موظف خاص بالري أو الوزير أو الرسول.

[٢] الخطاب كما لا يخفى موجه بطريق المجاز إلى صاحب الكوخ وهو "أوتو – نبشتم"

[٣] قارن نص التوراة سفر التكوين ٦:١٤.

[٤] سفر التكوين ٦:١٩-٢٠.

[٥] م.ن ٦:١٥.

قل لهم هكذا: "إني علمت أن "أنليل" يبغضني
فلا أستطيع العيش في مدينتكم بعد الآن
ولن أوجه وجهي إلى أرض أنليل وأسكن فيها
بل سأرد إلى الـ "أبسو "[1] وأعيش مع "أيا" ربي
وسينزل عليكم وابل غزير من المطر.
ومن مجامع الطير (?) وعجائب الأسماك
وسيغدق عليكم الغلال والخيرات
وفي المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح[2]"
ولما نورّت أولى بشائر الصباح
تجمع البلد حولي
جلبوا إليّ قرابين الغنم النفيسة
وأحضروا إليّ قرابين من ماشية مراعي السهوب
....................[3]
وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى
جلب إلي الصغار منهم القير

---

[1] مياه العمق الأبسو" وكانت في مآثر العراق القديم، المياه السفلى حيث موطن إله المياه "أيا" وقد يكنون بالأبسو عن مياه المحيط السفلى إذ كانوا يعتقدون بأن الأنهار والأهوار تخرج من تلك المياه، على أن المقصود هنا.على ما يرجح.الأهوار الممتدة في رأس الخليج.

[2] استعمل الكاتب تورية من الكلمتين البابليتين kuku و kibati اللتين تعنيان معنى مزودجاً إما الطعام أو الهلاك. وقد قصد "أيا" من هذه التورية أن يفهم عامة الناس أن هذا بشرى بالخير. أما بالنسبة إلى "أوتو – نبشتم" فيعني حدوث الطوفان الذي كان على وشك الوقوع.

[3] انخرام من أربعة أسطر.

وفي اليوم الخامس أقمت هيكلها (بنيتها)[1]

وكان سطح أرضها "أيكو"[2] واحداً وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعاً

وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرين ذراعاً

عينت شكلها الخارجي هكذا وبنيته

وجعلت فيها ستة طوابق تحتانية[3]

وبهذا قسمتها على سبعة أقسام (طوابق)

وقسمت أرضيتها على تسعة أقسام[4]

وحشوتها وغرزت فيها "أوتاد الماء"[5]

ووضعت فيها "المرادي" وجهزتها بالمؤن

لقد سكبت ستة شارات من القير في الكورة[6]

---

(١) أي هيكل السفينة وفي الأصل البابلي "بنيتها".

(٢) الـ "أيكو" مساحة سطحية تعادل نحو ٣٦٠٠م مربعاً أي نحو "ايكر" واحداً أما الذراع البابلي فقد سبق أن ذكرنا أنه يساوي نحو نصف متر فتكون مساحة سطحها ٣٦٠٠م مربعاً وبما أن ارتفاعها ٦٠ متراً (١٢٠ ذراعاً) فيكون شكل سفينة "أوتو – نبتشم" مكعباً منتظماً سعته نحو (٢١٦٠٠) متراً مكعباً.

(انظر Schott, op. eit, 88, notes).

قارن في هذا الباب أبعاد سفينة نوح كما وردت في سفر التكوين ٦:١٥.

(٣) بعد أن عيّن "أوتو – نبشتم" هيكلها العام وشكلها الخارجي وضع الألواح ووصل ما بينها وبناها.

(٤) أي أن كل طابق من الطوابق السبعة قد قسّم على تسعة أقسام أو مقاصير. ومصطلح أوتاد الماء واضح. وهو ما يستعمل في بناء السفن بغرز حشوات خشبية في فواصل الألواح لمنع الماء من النفاذ إليها. وفي الأصل البابلي "سكك" أو "سكات" بالجمع.

(٥) قارن سفر التكوين ٦:١٦.

(٦) م.ن: ٦:١٦.

وسكبت أيضاً ثلاث شارات من القطران (الأسفلت)
وجلب حاملو السلال ثلاثة (شارات) من السمن
فضلا عن "شار" واحد من السمن استنفذه نقع "أوتاد الماء"
وشارين من السمن اختزنهما الملاح
ثم) ذبحت البقر وطبختها للناس[1]
نحرتُ الأغنام في كل يوم
قدمت إلى الصناع عصير الكرم والخمر الأحمر والزيت والخمر الأبيض
سقيت الصناع بكثرة كماء النهر
سيسعدوا ويفرحوا كما في يوم رأس السنة
ومسحتُ يدي بالزيت
وتم بناء السفينة في اليوم السابع عند مغرب الشمس
وكان إنزالها (إلى الماء) أمراً صعباً
فكان عليهم أن يبدلوا ألواح القاع في الأعلى وفي الأسفل
إلى أن غطس في الماء ثلثاه
ثم حملت فيها كل ما أملك من ذهب
وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية[2]
أركبتُ في السفينة جميع أهلي وذوي قرباي
وأركبتُ فيها حيوان الحقل وحيوان البر وجميع الصناع[3]

---

[1] م.ن ٦:٢١.
[2] سفر التكوين ٧:٧-٨.
[3] م.ن ٧:١٣-١٦.

وحدد لي الإله شمش موعداً معيناً بقوله[1]:

"حينما ينزل الموكل بالعاصفة في المساء مطر الهلاك

فادخل في السفينة واغلق بابك"

وحل أجل الموعد المعين.

وفي المساء أنزل إلى الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً

وتطلعت إلى الجو فكان مكفهراً مخيفاً

فولجتُ في السفينة وأغلقتُ بابي

واسلمت دفة السفينة إلى الملاح "بوزر – آموري"

أعطيتهُ "البناء العظيم"[2] وما يحويه من متاع

ولما ظهرت أنوار السحر

ظهرت من الأفق البعيد (من أسس السماء) غمامة سوداء[3].

وفي داخلها أرعد الإله "أدد"[4].

وكان يسير أمامه "شلات" و "خانيش"[5].

وهما ينذران أمامه في الجبال والسهول

وقلع الإله "ايراكال"[6] الدعائم

---

[1] في الموارد السابقة كان "أيا" هو الإله الذي أنذر "أوتو – نبتشم" بموعد حلول الطوفان.

[2] في الأصل "القصر" أو "الهيكل" أي السفينة.

[3] قارن سفر التكوين ١١:٧.

[4] إله الزوابع والرعود.

[5] من رسل الإله "أدد".

[6] "ايراكال" من آلهة العالم الأسفل ولعله اسم من أسماء الإله نرجال "نرجول في التوراة" إله العالم الأسفل والمقصود بالدعائم هنا دعائم "سد العالم" الذي يحبس المياه السفلى.

ثم أعقبه الإله "ننورتا" وفتق السدود

ورفع "الأنوناكي" المشاعل

وأضاءوا بأنوارها الأرض

ولكن بلغت رعود الإله "أدد" عنان السماء"

فأحالت كل نور إلى ظلمة

وتحطمت الأرض الفسيحة كالكوز (الجرة)

وظلت زوابع الريح الجنوبية تهب يوماً كاملاً

وازدادت شدة في مهبها حتى غمرت الجبال[1]

وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان

وصار الأخ لا يبصر أخاه

ولا البشر يميزون من السماء

وحتى الآلهة ذعروا وخافوا من عباب الطوفان

فانهزموا وعرجوا إلى سماء "آنو"[2]

لقد استكان الآلهة وربضوا كالكلاب إزاء الجدار الخارجي

وصرخت عشتار كالمرأة في ساعة مخاضها

انتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجي نادبة:

"وآحسرتاه لقد عادت الأيام القديمة إلى طين[3]

لأنني أنا نطقتُ بالشر في مجمع الآلهة

---

(1) سفر التكوين ٧: ٢٠-٢٢.

(2) "آنو" إله السماء وكانت سماء آنو بحسب تصور العراقيين القدماء أعلى سماء من السموات السبع.

(3) قارن سفر التكوين ٧: ٢٣.

فكيف نطقتُ بالشر في مجمع الآلهة؟
لقد سلطتُ الدماء على خلقي[1]. وأنا التي ولدتُ خلقي هؤلاء
لقد ملأوا اليم كصغار السمك "وبكى آلهة الأنوناكي وهم منكسو
الرؤوس وندبوا وقد يبست شفاههم
ومضت ستة أيام وسبع ليال
ولم تزل الزوابع تعصف وقد غطى عباب الطوفان الأرض
ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدة وقعها
وقد كانت كالجيش في الحرب العوان
وهدأ اليم وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان[2]
وتطلعت إلى الجو، فرأيت السكون عاما
فتحت كوة فسقط النور على وجهي[3]
ورأيت البشر وقد عادوا جميعاً إلى طين
فركعتُ وجلستُ أبكي فانهمرت الدموع على وجهي.
وتطلعت إلى حدود (معالم) سواحل اليم
فرأيت بقاع الأرض العالية تظهر من مسافة أربع عشرة ساعة
مضاعفة
واستقر الفلك على جبل نصير[4].

---

[1] قارن سفر التكوين ٨:٢١.

[2] م.ن ٨:١-٢.

[3] م.ن ٨:٦.

[4] قارن رواية الطوفان سفر التكوين ٨:٤. إذاالجبل الذي استقرت عليه السفينة أحد جبال "أراراط". وأراراط اسم ارمينية القديم. وورد ذكره في الكتابات المسمارية اسم "أورارطو" وإذا صحت قراءة الاسم كما في ملحمة كلكامش. فإن معنى "جبل نصير" في

لقد مسك جبل "نصير" السفينة ولم يدعها تجري

ومضى يوم ويوم ثانٍ وجبل "نصير" ممسك بالسفينة فلم تجر

ومضى يوم ثالث ورابع وجبل نصير ممسك بالسفينة ولم يدعها تجري

وكان يوم خامس وسادس وجبل نصير ممسك بالسفينة

ولما أتى اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)

طارت الحمامة ثم عادت[1].

رجعت لأنها لم تجد موضعاً تحط فيه

وأخرجت السنونو وأطلقتهُ

ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعاً يحط فيه

ثم أخرجتُ غراباً وأطلقته[2]

البابلية جبل الخلاص، وورد اسم جبل نصير في أخبار الملك الآشوري آشور ناصربال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ق.م) والذي يقع بحسب هذه الأخبار إلى جنوبي وادي الزاب الصغير. وقد ذكر مصحوباً باسم الكوتين وقد عينه بعضهم بجبل "بيرة مكرون"، الجبل الشهير القريب من السليمانية الذي يرتفع نحو ٩ آلاف قدم، ويبعد عن "شروباك" موطن أوتو – نبشتم، بنحو ٤٥٠ كم إلى الشمال الشرقي. وكان يعرف إلى عهد قريب أيضاً باسم "بير مر كودرون، وجاء اسم الجبل بحسب رواية "بيروسوس" (برعوشا، الكاتب البابلي في القرن الثالث ق.م) باسم جبل "الكوردين" أي جبل الأكراد. وفي المآثر العربية (القرآن الكريم) والمآثر السريانية كان الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح جبل الجودي.

[1] قارن سفر التكوين ٨:٨-١٠.

[2] سفر التكوين ٧:٨، وقد وصف حدث إطلاق الطيور في التوراة بإسهاب ،فعند ظهور قمم الجبال بعد مرور أربعين يوماً من بدء الطوفان أطلق نوح غراباً (التكوين ٨:٥-٧) وظل هذا الطائر يحوم حتى انحسار الطوفان ولم يعد إلى الفلك، وبعد سبعة أيام أطلق نوح الحمامة التي لم تجد موضعاً تحط فيه فعادت (٨:٨-٩) وبعد سبعة أيام أخرى أطلق نوح حمامة أخرى فوجدت هذه طعاماً وبعض المواضع اليابسة ولكنها عادت حاملة معها

فذهب الغراب ولما رأى المياه قد انحسرت
اكل وحام وحط ولم يعد
وعند ذلك اطلقتُ كل شيء إلى الجهات الأربع وقربت قرباناً
وسكبت الماء المقدس على قمة (زقورة) الجبل[١]
ونصبت سبعة وسبعة قدور للقربان
وكدستُ تحتها القصب الحلو[٢] وخشب الأرز والآس
فتنسم الآلهة عرفها (شذاها)[٣]
أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب
فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب
ولما حضرت الآلهة العظيمة (عشتار)
رفعت عقد الجواهر الذي صنعه لها "آنو" على وفق هواها وقالت:
"أيها الآلهة الحاضرون كما أنني لن أنسى عقد اللا زورد هذا الذي
على جيدي سأتذكر هذه الأيام ولن أنساها[٤]
ليتقدم الآلهة إلى القرابين
أما "أنليل" فحذار أن يقترب من القرابين
لأنه لم يترو فأحدث الطوفان

غصن زيتون غض (٨:١٠-١١) وبعد سبعة أيام أطلق نوح حمامة ثالثة و لم تعد هذه إلى الفلك (١٢:٨) فكان ذلك علامة على انحسار الماء حتى من الأجزاء الواطئة من الأرض.

[١] قارن سفر التكوين ١٩:٨-٢٠.

[٢] لعله قصب السكر.

[٣] سفر التكوين ٢١:٨.

[٤] يقارن بعضهم هذا الحادث بعلامة القوس قزح الذي كان في التوراة آية عهد النبي إلى نوح بعدم تكرر حدوث الطوفان.

وأسلم خلقي إلى الهلاك؟
ولما جاء "أنليل" وشاهد الفلك (السفينة) استشاط غيظاً
وحنقا على آلهة الـ "أيكيك"(١) وقال:
"عجباً كيف نجت نفس واحدة، وقد كان المقدر أن لا ينجو بشر من الهلاك؟
ففتح الإله: ننورتا"[٢] فمه وقال مخاطباً البطل "أنليل":
"من ذا الذي يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير "آيا"؟
فإن أيا وحده هو الذي يعرف خفايا كل الأمور
وعند ذاك فتح "ايا" فاه وقال مخاطباً "انليل" البطل:
أيها البطل أنت أحكم الآلهة
فكيف، كيف أحدثت عباب الطوفان بدون أن تتروى؟
حمّل صاحب الخطيئة وزر خطيئته
وحمّل المتعدي إثم اعتدائه
ولكن كن رحيماً في العقاب لئلا يهلك ولا تهمله فيمعن في الشر
ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان[٣] سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم
ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس
وبدلاً من الطوفان لو أنك أحدثت القحط في البلاد

---

(١) اسم جمع يطلق على آلهة السماء.
(٢) "ننورتا" ابن الإله "انليل" وإله الحرب ورسول الآلهة.
(٣) قارن سفر الجامعة ١٤ :١٣-٢١.

وبدلاً من الطوفان لو أن "أيرا " (إله الطاعون) فتك بالناس

أما أنا فلم أفش سر الآلهة العظام

ولكنني جعلت "اترا – حاسس "[1] يرى رؤيا فأدرك سر الآلهة

والآن قرر مصيره؟

ثم صعد انليل إلى السفينة

ومسكني من يدي وأركبني معه في السفينة

وأركب معي أيضاً زوجي وجعلها تسجد جانبي

ثم وقف ما بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلاً

"لم يكن" "أوتو – نبشتم" قبل الآن سوى بشر

ولكن منذ الآن سيكن "أوتو – نبشتم" وزوجه مثلنا نحن الآلهة

وسيعيش أوتو – نبشتم بعيداً عند "فم الأنهار"

ثم أخذوني بعيداً عند "فم الأنهار"

والآن من سيجمع الآلهة من أجلك؟

تعال امتحنك! لا تنم ستة أيام وسبع ليال"

ولكن وهو لا يزال قاعداً على عجزه إذا سنة من النوم

تأخذه وتتسلط عليه كالضباب

فالتفت "أوتو – نبشتم" إلى امرأته وخاطبها قائلاً:

انظري (وتأملي) هذا الرجل القوي الذي ينشد الحياة!

لقد أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب

---

(١) "أترا – حاسس" معناه بالبابلية " المفرط أو المتناهي في الحكمة أو الحس" وهي صفة أو اسم آخر لبطل الطوفان "أوتو – نبشتم" وتوجد قصة بابلية أخرى عن الطوفان تدور على "اترا – حاسس" (أنظر A.Heidel, op.eit) ومجلة سومر (١٩٥١).

فأجابت زوج "أوتو – نبشتم" زوجها وقالت له:
"ألمس الرجل كيما يستيقظ
ويعود أدراجه سالماً في الطريق الذي جاء منه بسلام
ليعد إلى بلاده من الباب الذي خرج منه
فأجاب "أوتو – نبشتم" امرأته وقال:
"لما كان الخداع من شيمة البشر فإنه سيعمد إلى خداعك[1].
فهلمي أخبزي له أرغفة من الخبز وضعيها عند رأسه
والأيام التي ينام فيها أشريها في الجدار
فخبزت له أرغفة من الخبز ووضعتها عند رأسه
وعملت (أشرت) الأيام التي نامها في الجدار
فأصبح الرغيف الأول يابساً وتلف الرغيف الثاني والثالث لم يزل رطباً
وابيضت قشرة الرغيف الرابع
والخامس لم يزل طرياً والسادس قد خبز في الحال
ولما كان الرغيف السابع لا يزال على الجمر مسه فاستيقظ[2] الرجل
(وعندما استيقظ) جلجامش قال له "أوتو – نبشتم" القاصي:
"لم تكد سنة النوم تأخذني حتى مستني فأيقظتني"
فأجاب "أوتو – نبشتم" جلجامش قائلاً له:

---

[1] قارن عبارة التوراة الواردة في سفر التكوين ٢١:٨.
[2] أي أن أوتو – نبشتم مس جلجامش.

يا جلجامش عد أرغفتك فيعلمك المؤشر على الحائط عدد الأيام التي نمت فيها
فقد يبس رغيفك الأول والثاني لم يعد صالحاً
والثالث لا يزال طرياً وتحولت قشرة الرابع بيضاء والسادس لا يزال طرياً
والسابع - إذا بك تستيقظ!
فقال جلجامش لـ "أوتو - نبشتم" القاصي:
ماذا عساي يا "أوتو - نبشتم" أن أفعل وإلى أين أوجه وجهي؟
وها أن "المفرق" [1] قد تمكن من جوارحي
أجل في مضجعي يقيم الموت.
ثم قال "أوتو - نبشتم" لـ أور شنابي الملاح:
"يا أور - شنابي! عسى أن لا يرحب بمقدمك المرفأ
وليبرأ منك موضع العبور
ولتذهب مطروداً من الشاطىء
والرجل الذي قدته إلى هنا يجلل جسمه الشعر والوسخ
وشوهت جمال أعضائه أردية الجلود
خذه يا أور - شنابي، وقده إلى موضع الاغتسال
ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج
لينزع عنه جلود الحيوان ويرمها في البحر حتى يتجلى جمال جسمه
ودعه يجدد عمامة (عصابة) رأسه

---

[1] المفرق أو المثل يعني الموت (هادم الذات ومفرّق الجماعات).

ودعه يلبس حلة تستر عريه

وإلى أن يصل إلى مدينته وحتى ينهي طريق سفره

لا تدع آثار القدم تبدو على لباسه بل لتحافظ على جدتها[1]

فأخذه "أور – شنابي" إلى موضع الاغتسال

وغسل أوساخه وشعره حتى بدأ نظيفاً كالثلج

ونزع عنه لباس الجلد، فجرفها البحر حتى تجلى جمال جسمه

وجدد عمامته حول رأسه

وألبسه حلة كست عريه

وإلى أن يصل إلى مدينته وينهي طريق سفره

جعل ثيابه جديدة على الدوام

ثم ركب جلجامش وأور – شنابي في السفينة

وأنزلا السفينة في الأمواج وتهيأ للإبحار

(وإذاك) خاطبت امرأة أوتو – نبشتم زوجها وقالت له:

لقد جاء جلجامش إلى هنا وقاسي المشقة والتعب

فماذا عساك أن تمنحه وهو عائد إلى بلاده؟

وكان جلجامش في تلك اللحظة قد رفع مرديه

وقرب السفينة إلى الشاطىء

فأدركه "أوتو – نبشتم" وخاطبه قائلاً

لقد جئت يا جلجامش إلى هنا وقد عانيت التعب والعناء

---

[1] يرى بعض الباحثين أن هذه كانت محاولة أول يقوم بها "أوتو – نبشتم" جلجامش دائم الشباب باغتساله في مياه الشباب وإكسائه بكسوة الشباب الدائم قبل أن النبات الذي يجدد الشباب (قارن ذلك بأسطورة الإسكندر الكبير وبحثه عن نبع الحياة الظلمات).

فماذا عساني أن أمنحك حتى تعود إلى بلادك؟
سأفتح لك يا جلجامش سراً خفياً
أجل سأبوح لك بسر من أسرار الآلهة
يوجد نبت مثل الشوك ينبت في المياه
إنه كالورد شوكه يخز يديك كما يفعل الورد
فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الجديدة"
وما أن سمع جلجامش هذا القول، حتى فتح المجرى الذي أوصله إلى المياه العميقة
وربط برجليه أحجاراً ثقيلة
ونزل إلى أعماق المياه حيث أبصر النبات
فأخذ النبات الذي وخز يديه
وقطع الأحجار الثقيلة من رجليه
فخرج من الأعماق إلى الشاطىء
قم قال جلجامش لـ "أور – شنابي" الملاح:
"يا أور – شنابي" إن هذا النبات نبات عجيب
يستطيع المرء أن يطيل به حياته
لآخذته معي إلى "أوروك"، الحمى والسور
وأشرك معي (الناس) ليقطعوه ويأكلوه
وسيكون اسمه "يعود الشيخ إلى صباه كالشباب"

وأنا سآكله في آخر أيامي حتى يعود شبابي[١]

(ثم بعد هذا) سارا وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل

(وبعد ذلك) أبصر جلجامش بركة ماء ماؤها بارد

فنزل فيها ليغتسل في مائها،فشمت حية (صل) عرف النبات

وخرجت (من الماء) واختطفت النبات

وفي عودتها نزعت عنها جلدها[٢]

فجلس جلجامش عند ذاك وأخذ يبكي

حتى جرت دموعه على وجنته

فكلم "أور – شنابي"، كلت يداي؟

ومن أجل من استنزفت دم قلبي؟

لم أحقق لنفسي مغنماً

أجل! لقد حققت المغنم إلى "أسد التراب)[٣].

أفبعد مسافة عشرين ساعة مضاعفة[٤].

---

[١] يتضح من هذا أن النبات يجدد الشباب وأنه يجب أن يؤكل بعد أن يبلغ المرء الشيخوخة ولهذا السبب لم يأكل منه جلجامش في الحال بل أنتظر حتى يدركه الشيب بعد أن يعود إلى الوركاء ولعله رأى أيضاً أن يزرعه في بلاده فيكثر نوعه.

[٢] أي أن الحية استطاعت بتأثير ذلك النبات السحري أن تجدد الشباب بنزع جلدها، ولعل من هذه الأسطورة الطريفة منشأ أتخاذ الحية رمزاً للحياة والشفاء والطب عند معظم الأمم.

[٣] من نعوت الحية عند العراقيين القدماء.

[٤] السياق يقتضي خمسين ساعة مضاعفة.

يأتي هذا المخلوق فيختطف النبات مني؟
وقد سبق أني لما فتحت منافذ الماء
وجدتُ أن هذا نذير لي أن أتخلى (عن مطلبي)
وأترك السفينة في الساحل[١]
وبعد مسيرة عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
ثم وصلا إلى "أوروك" ذات الأسوار
فقال جلجامش لـ "أور – شنابي" الملاح: أعل يا أور – شنابي
وتمش فوق أسور "أوروك"
وأفحص قواعد أسوارها وأنظر إلى آجر بنائها وتيقن أليس من الآجر المفخور (المشوي)؟.
وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها[٢]
إن "شارا" واحد خصص للسكنى (في المدينة) وشارا واحد لبساتين النخيل
وشار واحد ليسهل الإرواء فضلا عن إلى حارة معبد عشتار
فتتضمن أوروك ثلاثة "شارات" والحارة

---

[١] فسّر إخفاقه أنه نذير له أن يترك السفينة ويعود براً مع الملاح أور – شنابي الذي نفي وطردهُ سيده "أوتو – نبشتم".

[٢] يعود المؤلف إلى بداية الملحمة، كما نوهنا بذلك في المقدمة.

تذييل: اللوح الحادي عشر من "هو الذي رأى كل شيء" من سلسلة جلجامش استنسخت طبق الأصل وحققت
(مكتبة) قصر "آشور – بانيبال" ملك العالم، ملك بلاد آشور.

المحتويات

قائمة إصدارات المركز الأكاديمي للأبحاث

•نقد الرواية التاريخية ، عصر الرسالة أنموذجا ،د.عبد الجبار ناجي، ٣١٨ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):3-762-88-9953-978 .

•التشيع والاستشراق عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية وأئمتها، د.عبد الجبار ناجي،٤٨٠ صفحة قطع متوسط ،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):9-760-88-9953-978 .

•محمد والفتوحات، فرانشيسكو كبريلي، ترجمة:د. عبد الجبار ناجي، ٤١٦ صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):6-761-88-9953-978 .

•أبحاث في التاريخ الإسلامي، د. جواد علي، دراسة ومراجعة: د. نصير الكعبي، ٥٣٥ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):7-764-88-9953-978 .

•أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دراسة ومراجعة : د. نصير الكعبي،٥١١ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):0-763-88-9953-978 .

•اليزيديون وأصولهم الدينية ومعابدهم والأديرة المسيحية في كردستان العراق، توماس بوا، ترجمة : سعاد محمد خضر، ١٩٠ صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):9-757-88-9948-978 .

•كنيسة المشرق . التاريخ . العقائد، الجغرافية الدينية، الأب الدكتور يوسف حبي، ٥١٤ صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، باركود(ISBN):2-7756-88-9948-978 .

•يهود كردستان ورؤسائهم القبليون(دراسة في فن البقاء)، مردخاي زاكن، ترجمة: سعاد محمد خضر، ٤٦٢ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):5-755-88-9948-978 .

•المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، جولد زيهر، ترجمة حسن عبد القادر، ١٨٢ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 8-754-88-9948-978.

• أذربيجان في العصر السلجوقي ، د. حسام الدين علي غالب النقشبندي ، ٤٢٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود: (ISBN) 1-753-88-9948-978.

•عبد الكريم قاسم في ضوء ملفته الشخصية ، د. عماد عبد السلام رؤوف ، ٢١١ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 4-752-88-9948-978 .

•كعب الأحبار: مسلمة اليهود في الإسلام،اسرائيل ولفنسون(أبو ذؤيب)،١٥٣ صفحة ، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 7-751-88-9948-978.

•المفصل في نشأة النوروز الذهنية الابداعية . دراسة في فكرة الأعياد الشرقية، د. حسين قاسم العزيز،٤٢٦ صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود:(ISBN) 0-750-88-9948-978.

•معرفة الشرق في العصر العثماني، الرحلة الايطالية إلى العراق،الأب د.بطرس حداد، ترجمة عن الإيطالية،١٧٤ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):4-749-88-9948-978 .

•المغول التركيبة الدينية والسياسية، بروفسور شيرين بياني، ترجمه عن الفارسية : سيف علي، دراسة ومراجعة: د. نصير الكعبي، ٥٥٧ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):7-748-88-9948-978 .

•الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى، د. غلام حسين صديقي،ترجمه عن الفارسية د. نصير الكعبي، ٤٤٢ صفحة، قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):0-747-88-9948-978 .

•الألم الخلاصي في الإسلام . دراسة في المظاهر الدينية لمراسم عاشوراء عند الشيعة الامامية، بروفسور محمد أيوب، ترجمه عن الانكليزية: الأب أمير ججي الدومنيكي،٣٣٧ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN) :743-88-9948-978 .

•الاستشراق في التاريخ: الاشكاليات، الدوافع ، التوجهات . الاهتمامات، د. عبد الجبار ناجي،٥٨١ صفحة قطع كبير(وزيري)، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN) : 6-745-88-9948-978.

•المدارس التاريخية الإسلامية مدرسة البصرة أنموذجا، د. عبد الجبار ناجي،٣٦٥ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN): 9-744-88-9948-978.

•تاريخ اليهود في بلاد العرب، اسرائيل ولفنسون(أبو ذؤيب) ، ترجمة د. مصطفى جواد، ٢٦٠ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN): 2-743-88-9948-978.

•المعتقدات الدينية في العراق القديم، د. سامي سعيد الأحمد، ١٦٥ صفحة، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف،بار كود: (ISBN)5-742-88-9948-978 .

•الديانات الشرقية القديمة: الزردشتية والمانوية، بروفسور سيد حسن تقي زاده، د. محمد مهدي ملاييري،١٦٦ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود: (ISBN)3-3-9921030-0-978 .

•الطوفان في المصادر السومرية . البابلية . الآشورية . العبرانية،أ. فؤاد جميل،٨٤ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، بار كود(ISBN):2-0-9921030-0-978 .

•الامومة عند العرب دراسة في أنماط الأنوثة والنكاح،المستشرق الهولندي ج.أ.أويلكين،٩١،قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN)978-1-927946-02-2 .

• البلاط و المجتمع الإسلامي وعلم التاريخ: دراسة في سيسيولوجيا الكتابة عند المسلمين،المستشرق البريطاني جسي روبنسون، ترجمه عن الانجليزية د. عبد الجبار ناجي،٤٨٧: صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):.978-0-9921030-1-9 .

• تاريخ الإلحاد في الإسلام، الدكتور عبد الرحمن بدوي٢٥٣صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف.
بار كود(ISBN):978-0-9921030-6-4

•الصابئة المندائيون الأصول . الشرائع . الكتاب المقدس،الأب انستاس ماري الكرملي، ١٠٨صفحة، قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-0-9921030-4-0 .

•معرفة الشرق في العصر العثماني الرحلة الفرنسية إلى العراق ، الرحالة أوليفييه، ترجمه عن الفرنسية:الأب د.يوسف حبي، ٢٩٢صفحة قطع ،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):978-0-9921030-8-8 .

• الإبل والخيل في العالم الشرقي القديم ، أ. رضا جواد الهاشمي،١٠٦ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):978-1-927946-01-5 .

•الحركات الاجتماعية في القرون الإسلامية الأولى، رضا رضا زاده لنكرودي، ترجمه رحيم حمداوي، راجعه وقدم له د.نصير الكعبي،٤٠٩صفحة قطع متوسط،الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-0-9921030-2-6 .

•دراسات عن أساطير شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام :مدخل لفهم معتقداتهم ، الدكتور حسين قاسم العزيز ٤١٠ صفحة، قطع متوسط، الورق ، بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN)978-0-9921030-7-1 .

•مملكة كندة في شبه الجزيرة العربية،المستشرق الهولندي جونار اولندر٢٨٥ صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف، بار كود (ISBN):978-1-927946-00-8 .

•مكة في الدراسات الاستشراقية، المستشرق البلجيكي الأب لامانس،المستشرق البريطاني البروفسور كستر،٢٣٩صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠، الغلاف جاكيت معقوف،بار كود(ISBN):978-0-9921030-9-5 .

•بغداد في القرون الوسطى، البروفسور جورج مقدسي،١١٠ ،ترجمة :د.صالح احمد العلي صفحة قطع متوسط، الورق بلكي سمك ٧٠،الغلاف جاكيت معقوف، بار كود(ISBN):978-0-9921030-5-7 .


صفحة فارغة